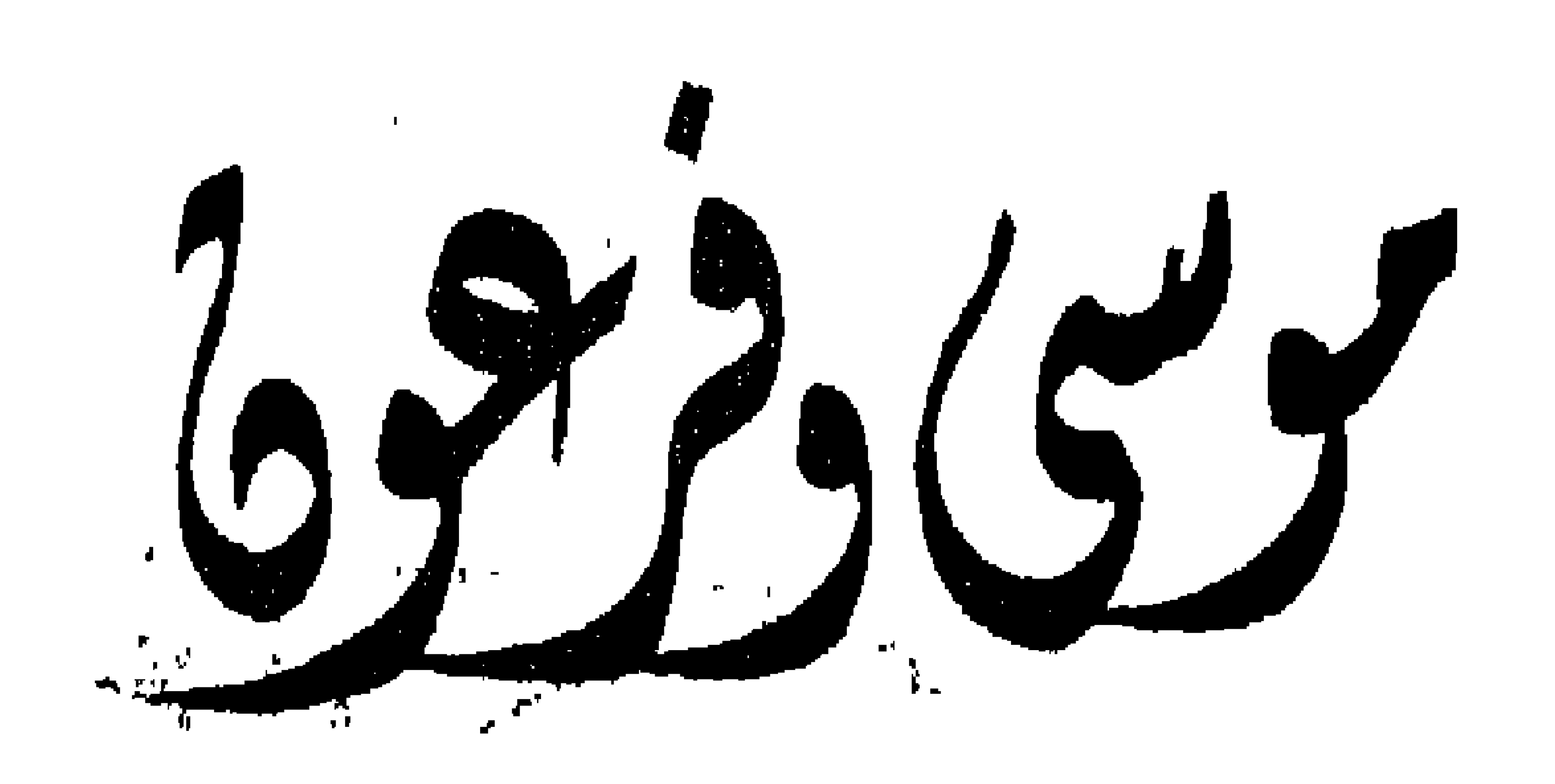
البابا شنوده الثالث

موسى وفرعون



البابا شنوده الثالث

دراسات فى الكتاب المقدس



Moses and Pharo

By H. H. Pope Shenouda III

الطبعة الأولى

يونيو ١٩٩٠م

القاهرة

1st. print

June 1990

Cairo



(خر ٣ : ٣ -٦) .

الكتاب : موسى وفرعون .

المؤلف : قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث .

الناشر : الكلية الأكليريكية للأقباط الأرثوذكس .

الطبعة : الأولى - يونيو ١٩٩٠م .

المطبعة : الأنبا رويس الأوفست - [illegible] .

رقم الإيداع بدار الكتب : ١٩٩٠/٤٦٦٤م .



صاحب الغبطة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث

قصة هذا الكتاب

قمت بتدريس العهد القديم فى الكلية الاكليريكية قبل رهبنتى، من سنة ١٩٤٩م، وعدت لتدريسه فى نفس الكلية بعد أن صرت أسقفاً لها سنة ١٩٦٢م.

ومن الأمور التى اهتممت بها : شخصيات الكتاب ، والرموز فى الكتاب . وتعرضت بالتحليل الروحى لكل شخصيات العهد القديم تقريباً ، منذ أبينا آدم .

ولدى من مادة شخصيات الكتاب كمّ وفير جداً .

نشرت منه من قبل آدم وحواء ، وقايين وهابيل ، وأيضاً يونان النبى . وها أنا أنشر سيرة موسى النبى ... وأرجو أن أنشر عن باقى شخصيات الكتاب تباعاً ...

ويهمنى فى حياة كل هؤلاء ، الجانب الروحى منها ، والدروس الروحية التى نتعلمها من سيرهم .

وموسى النبى ، لا يتسع كتاب واحد لنشر سيرته وخطه الروحى . فإلى اللقاء فى الكتاب التالى إن شاء الله .

يونيو ١٩٩٠م **البابا شنوده الثالث**

الفصل الأول

موسى النبي

١ - طفولته ونشأته :

طفولته

نشأ هذا القديس فى بيئة كلها تعب ومشقة ، لا توحى بأن هذا الطفل سيحيا حياة روحية بل لا توحى بأنه سيحيا على الإطلاق !

نشأ فى شعب مذلول مستعبد ، مسخر بأيدى أعدائه ، فى عهد فرعون ظالم قاس ، أذل هذا الشعب وثقل عليه ... ونشأ موسى فى بيئة وثنية ، أو على الأقل لا تعرف الله الحقيقى ، وغارقة فى تعدد الآلهة ... ومع أنه كان من أسرة كهنوتية ، أو صارت كهنوتية فيما بعد ، إلا أنه :

كان عمل الكهنوت معطلاً فى ذلك الحين ...

لا ذبائح ، ولا مذابح ، ولا ممارسات طقسية ... بل كان القصد من خروجهم من أرض مصر فيما بعد ، أن يعبدوا الرب « كما أرسل الله إلى فرعون قائلاً « اطلق شعبى ليعبدونى ... » (خر٧ : ١٦) . أى أنهم كانوا فى مصر غير قادرين على عبادته ...

وكان موسى وأسرته وكل شعبه غرباء فى أرض مصر.

ومن هنا كانت الوصية «لا تنس إضافة الغرباء، واذكر أنك كنت غريباً فى أرض مصر» (عب ١٣ : ٢)، (تث ١٠ : ١٩).

ونشأ موسى وهو معرض للموت منذ ولادته.

كان قد صدر أمر من فرعون بقتل كل الذكور الذين يولدون للعبرانيين (خر ١ : ١٦). وكان موسى واحداً من هؤلاء الأطفال المحكوم عليهم بالموت وقت ولادتهم. فهكذا صدر الأمر للقابلتين...

أكانت هذه بداية لحياة طفل تبشر بخير؟! أم كانت هذه البداية توحى بنهاية للطفل منذ ولادته؟!

ولكن الله لا يهتم بالبدايات، إنما بالنهايات كيف تكون.

وصدق الحكيم حينما قال «نهاية أمر خير من بدايته» (جا ٧ : ٩).

من الجائز أن تكون البداية صعبة ومتعبة، ومع ذلك تكون النهاية طيبة للغاية. ولنضرب لذلك مثلاً بيوسف الصديق: ما أصعب البداية: فتى صغير يلقيه أخوته فى بئر فارغ، ثم يبيعونه

عبداً للإسماعيليين ، و يصير عبداً فى بيت فوطيفار، وعلى الرغم من أمانته تلفق ضده تهمة ظالمة ، و يلقى فى السجن ، و يستمر فيه فترة كفاعل إثم !! ... ومع نظرنا إلى النهايات نجدها عجيبة !!

كل البدايات فى قصة يوسف الصديق أوصلته إلى نهاية مجيدة .

فقد جعله الله أباً لفرعون ، وسيداً لكل بيته ، ومتسلطاً على كل أرض مصر» (تك ٤٥ : ٨) . وصار الثانى فى المملكة ، وأمكنه أن ينقذ مصر بل المنطقة كلها من المجاعة . و بارك الله ابنيه ، وصارا سبطين من الأسباط الإثنى عشر. ورأى أباه أخيراً ونال بركته . واعتذر له اخوته ، وسجدوا عند قدميه .

وعلى الرغم من البدايات المتعبة ، فإننا نرى النهايات الطيبة بالإيمان . وهكذا قصة موسى تبدأ بالإيمان .

وهكذا يقول القديس بولس الرسول فى شرحه لقصة موسى «بالإيمان موسى بعد ما وُلد ، أخفاه أبواه ثلاثة أشهر، لأنهما رأيا الصبى جميلاً ، ولم يخشيا أمر الملك . بالإيمان لما كبر أبى أن يدعى إبن إبنة فرعون ...» (عب ١١ : ٢٣ ، ٢٤) .

إن قصة مولده ، كانت إذن قصة إيمان .

نسوة فضليات

فى مولد موسى ، نرى إيمان مجموعة من نسوة فضليات .

والله قد استخدمهن جميعاً ، للعناية بنشأة عبده موسى :

الأولى هى أمه . وأمه كانت إمرأة قديسة فعلاً . ويندر أن نجد أماً استطاعت أن تربى إبنها مثل موسى . إنها فى فترة رضاعته استطاعت أن تعلمه كل قواعد الإيمان التى ثبتت فيه طول حياته ، وهو فى أرض مصر، وهو فى قصر فرعون وسط العبادات الفرعونية وآلهتها المتعددة .

لم ترضعه أمه لبناً عادياً، إنما أرضعته الإيمان .

الإيمان السليم الذى استمر معه أربعين سنة فى قصر فرعون ، ثم باقى حياته مع الله ...

وهذا الإيمان منح أمه شجاعة ، هى وزوجها ، فأخفيا الطفل ، ولم يخشيا أمر الملك . أخفياه ثلاثة أشهر، ولم يعد ممكناً اخفاؤه فترة أطول . صوت الطفل سيكشف وجوده ، فلابد من التخلص من الإنكشاف ...

القديسة الثانية فى قصة موسى ، هى أخته مريم .

كانت أكبر منه . والكتاب دعاها فيما بعد « نبية » (خر١٥ : ٢٠) .

أخذت ترقب السفط الذى وضع فيه الطفل موسى ، حتى جاءت الأميرة ورأته ، حينئذ جرت إليها مريم ، وعرضت عليها أن تحضر لها مرضعة ... أية فتاة أخرى كان من الممكن أن تخاف وترتعش ، لئلا ينكشف الأمر ، وتصبح مدانة أمام إبنة الملك . ولكن مريم لم تخف . الإيمان منحها شجاعة ، كما منح أمها من قبل .

ثالث إمرأة استخدمها الرب فى قصة طفولة موسى ، هى الأميرة .

على الرغم من أمر الملك بقتل كل أطفال العبرانيين ، كانت جرأة منها أن تأخذ طفلاً عبرانياً محكوماً عليه بالموت ، وتتبناه . ولاشك أنها كلمت أباها فى الأمر ولم تخف . وصار الطفل أميراً فى قصر الملك بعد فترة تربية أمه له .

٤ ، ٥ إمرأتان فضليتان هما القابلتان .

والقابلة هى المولدة ، ويدعونها فى الريف (الداية) أو



« رقت له وقالت هذا من أولاد العبرانيين » (خر ٢ : ٦) .

الحكيمة .

وكان أمر الملك واضحاً وصريحاً للقابلتين ، أن يقتلا الأطفال الذكور الذين يولدون للعبرانيات . ولكن القابلتين لم تطيعا أمر الملك . إذ كان « ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس » (أع ٥ : ٢٩) . وفى ذلك يقول سفر الخروج :

« ولكن القابلتين خافتا الله ، ولم تفعلا كما كلمهما ملك مصر ، بل استحيتا الأولاد » (خر ١ : ١٧) .

إن مخافة الله كانت توجد أيضاً فى غير شعب الله ... إنه الضمير الحىّ الذى أوجده الله فى طبيعة كل إنسان ، مهما كان أمياً .

من أجل ذلك ذكر الكتاب اسمى القابلتين فقال « إن إسم احداهما شفرة ، وإسم الأخرى فوعة » (خر ١ : ١٥) على الرغم من أن الكتاب لم يذكر أسماء نسوة كثيرات قديسات ، مثل زوجات أخنوخ ومتوشالح ، وزوجات نوح وأبنائه الثلاث ، وكثيرات أخريات (تك ٥) . ولم يكتف الكتاب بهذا ، بل قال أيضاً :

« فأحسن الله إلى القابلتين ... وكان إذ خافت القابلتان الله ، أنه صنع لهما بيوتاً » (خر ١ : ٢٠ ، ٢١) .

أى أنهما نالا مكافأة من الله ، وأنقذهما الله فلم يتعرضا لغضب الملك ولا لعقوبته . واستطاع الله أن يحمى من أطاعه أكثر من الملك... أبو موسى وأمه لم يخشيا أمر الملك ، وكذلك القابلتان ، ونفس الشجاعة كانت للفتاة مريم... مواقف جريئة ونبيلة ، سجلها الكتاب فى طفولة موى . ونأخذ منها درساً :

فى بعض الأوقات يلزم أن يتخذ الإنسان موقفاً قوياً وحازماً وجريئاً ، وليحدث ما يحدث بعد ذلك...

وهكذا فعل أصحاب هذه الأسماء الفاضلة فى قصة ميلاد موسى . بل نقول إن الله كان قد أعدّ كل هؤلاء ، ليكون لكل منهم موقفه ، كمثال لنا .

نلاحظ أن الذين أحسنوا إلى موسى لم يكونوا أقربائه مثل والديه واخته ، بل حتى الغرباء عنه جنساً وديناً ، مثل الأميرة والقابلتين . لقد وضع الله فى قلوب هؤلاء الغرباء حنواً من جهته ، لاستحيائه .

وهكذا ولد موسى فى بيئة مظلمة ، ومع ذلك كانت فيها بعض أنوار مضيئة !

إن الله لا يترك نفسه بدون شاهد ، فى أى جيل ، وفى أى بلد . نحن قد لا نرى هؤلاء الأبرار، ولكن الله يراهم ، كما قال لإيليا النبى عن « السبعة آلاف رجل الذين لم يحنوا ركبة لبعل » (رو١١ : ٤). وبنفس الأسلوب حفظ الله نفوساً تخافه فى عصر موسى النبى .

الله يتدخل

واستطاع الله أيضاً أن يحول الشر إلى خير...

فموسى الطفل الذى قصد به أن يقتل فى طفولته ، تربى فى قصر ملكى ، وعاش كأمير معيشة لم تكن متاحة لوالديه واخوته . وأمه التى كان من الممكن أن تقتل لمخالفتها أمر الملك ، أعطيت فرصة أن ترضع إبنها ، وتأخذ أجرة رضاعتها له !! وإذا بالقابلتين أيضاً يقيم لهما الله بيوتاً . وتحقق قول الكتاب « كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الرب » (رو٨ : ٢٨) . وتحقق أيضاً قول المزمور « حافظ الأطفال هو الرب » (مز١١٤ : ٥) .

والله عنده حلول لكل مشكلة ...

السفط الذى وضع فيه موسى، القى فى الماء. ولكن كما قيل فى أول سفر التكوين «كان روح الله يرف على وجه المياه» (تك ١ : ٢). وروح الله حفظه وأنقذه.

لعله على موسى ينطبق المثل العامى الذى يقول «أعطنى عمراً، ولرمنى فى البحر». وموسى كان الله قد أعطاه عمراً، فلم ينله ضرر لما ألقى فى سفط الماء...

وكلمة موسى إسم مصرى معناه فى اللغة القبطية «المأخوذ من الماء». غالباً هو إسم اطلقته عليه إبنة فرعون لتتذكر حادثة أخذها له. أما الإسم الذى أطلقته أمه عليه يوم ولادته، فلا نعرف... هذا إن كانت قد منحته إسماً وقتذاك...

وبقى الإسم الذى أطلق عليه «المأخوذ من الماء» هو الإسم الذى عرف به فى التاريخ، والذى تكلم به الله معه وعنه، وسيبقى نفس إسمه فى الأبدية التى لا تنتهى.

كان جميلاً

بقيت نقطة نقولها فى طفولة موسى وهى أنهم:

استحيوا الطفل، لأنه كان جميلاً (عب ١١ : ٢٣).

طبعاً جمال الطفل جعل إبنة فرعون تحن عليه... لا أعرف لو كان هذا الطفل قد وُلد فى الحسومات، أو كان شكله غير مقبول، ماذا كان يمكن أن يكون مصيره!! ربما الله منحه هذا الجمال لكى يتمشى مصيره مع الخطة الإلهية التى أرادها له.

وأحب أن أذكر فى جمال موسى ثلاثة تعليقات:

١ ـ كان موسى بطبيعته جميلاً، فماذا كان جماله إذن على جبل التجلى مع السيد المسيح؟!

وذلك حينما أخذ نوراً أعظم.

٢ ـ والنقطة الثانية لما كان فى الجبل مع الله، واستضاء بنوره، حتى كان وجهه يلمع، ولم يستطع بنو اسرائيل أن يروه، فجعل على وجهه برقعاً... (خر٣٤: ١٩ ـ ٣٥).

٣ ـ كان موسى جميلاً حسب الجسد، ولاشك كان له أيضاً جمال روحى يزيد جماله الجسدى...

جمال الوداعة مثلاً، كما قيل عنه «وكان الرجل موسى حليماً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض» (عد١٢: ٣)... وكذلك جمال القدسية والبر... كل هذا يمنح الإنسان جمالاً

آخر، يجذب الناس إليه .

ولعلنا لابد أن نذكر فى ذلك جمال العذراء الروحى .

إن البشاشة تمنح الإنسان جمالاً فوق جماله .

لذلك يطلب المصورون أن يبتسم الإنسان أثناء التقاط صورة له ... فإن لم يظهر فى الصورة جميلاً ، فعلى الأقل يكون شكله أكثر احتمالاً بالنسبة إلى ناظريه .

ولاشك أن آدم وحواء كانا جميلين .

يكفى أنهما خلقا على صورة الله وشبهه ...

وجمال صورة الإنسان لم يفقد إلا بعد الخطية ، كما حدث لقايين لما صار مرعوباً وتائهاً وهارباً فى الأرض (تك ٤ : ١٢) .

وبدأت البشرية تفقد جمالها الجسدى منذ خطية قايين .

كل خطية تترك أثرها على البشر، ويتوارث الناس الشكل، ويضيفون عليه ... أما موسى فكان جميلاً واحتفظ بجماله .



موسى الصبى فى قصر فرعون .

الفصل الثاني

بدء رسالته وإعداده

شعوره برسالة

تربى موسى فى قصر ملك ، فى جو من الرفاهية والعز والغنى ... على عكس الحياة التى عاشها أخوته فى ذلك الزمن ... وظل هكذا إلى أن كبر...

« ولما كبر» فى السن ، وفى الروح ، وفى الشعور بالمسئولية .

ولما كبر ، دخل فى صراع نفسى ، مقارناً بين رفاهيته وذلهم .

رآهم كيف يُستعبدون ويسخرون ، وكيف تزداد أثقالهم ، كل ذلك من صاحب القصر الذى ينتسب هو إليه ... ومع ذلك فلا يوجد من يدافع عن هؤلاء المساكين المظلومين .

ففضل أن يذل مع شعب الله ، على أن يكون له تمتع وقتى بالخطية (عب ١١ : ٢٥) .

وماذا كانت تلك (الخطية) حسب تعبير القديس بولس الرسول ؟

كانت أن يعيش فى عز ورفاهية، ويترك اخوته مذلولين ومطحونين... ومذلين من الملك الذى يعيش هو فى قصره، وربما يأكل أيضاً على مائدته!! وهكذا يقول الرسول: «بالإيمان موسى لما كبر، أبى أن يدعى إبن إبنة فرعون، مفضلاً بالأحرى أن يذل مع شعب الله...» (عب ١١: ٢٤، ٢٥).

هناك أشخاص حينما يصلون إلى مراكز كبيرة، ينسون أقاربهم الفقراء، أو يترفعون عليهم!!

بل قد يشعرون أنها مسبة لهم، أن ينتسبوا إليهم!، وهكذا يهربون منهم أو يتجاهلونهم... ولكن يوسف الصديق لم يكن هكذا، لما صار أباً لفرعون، ومتسلطاً على كل بيته، وسيداً لكل مصر (تك ٤٥: ٨، ٩)... بل قدم أخوته وأباه لفرعون، وأسكنهم فى أرض جاسان (تك ٤٧: ١- ١٢)...

وكان موسى من نفس هذا المستوى النبيل، ولكن بأسلوب آخر.

ظروف موسى غير ظروف يوسف. كل منهما كان له مركزه فى القصر. ولكن مركز يوسف كان أعظم، ولم يكن أخوته

مسخرين لفرعون، ولا كان فرعون مستفيداً منهم. وإن كان يوسف قد وصل إلى غرضه بالتفاهم مع فرعون، مع بقائه فى منصبه الكبير... إلا أن موسى فضّل أن يذل مع شعب الله، وأبىَ أن يدعى إبن إبنة فرعون... وضحى بمركزه لأجلهم...

أخلى ذاته، ورفض أن يعيش فى مستوى أفضل منهم.

أراد أن يشابه أخوته، يذل معهم. يترك قصره، و يرى كيف يعيشون... يفتقدهم فى مذلتهم. وعبّر الكتاب عن هذا بقوله:

«خرج إلى أخوته، لينظر أثقالهم» (خر ٢ : ١١).

وهنا بدأت القصة، بدأ شعوره برسالته ...

حسن جداً شعوره أن هؤلاء أخوته. إن سنوات العز فى قصر الملك لم تنسه أصله القديم... فكيف عرف أن هؤلاء هم أخوته؟ أتراها بقية من تربية أمه له، ظلت راسخة فى شعوره؟ أم ترى كانت له صلة بمريم وهارون وهو فى قصر الملك؟ أم ثبت فى عقله الباطن والواعى أنه عبرانى، منذ دخل قصر فرعون؟... وهكذا كان واثقاً فى أعماقه أنه ليس إبن إبنة فرعون، مهما كان «يُدعى» بهذه الصفة...

المهم أنه عرف أن هؤلاء هم أخوته .

وأن عليه رسالة من جهتهم ...

وكانت هذه هى نقطة البدء وقام ليؤدى رسالته .

ماذا كانت رسالته ؟

لم تبدأ كرسالة روحية، إنما بدأت أولاً كرسالة اجتماعية .

كانت رسالته ، كما بدأت ، هى انقاذ هذا الشعب من الذل الذى هو فيه ... انقاذه من العبودية والسخرة ، ومن إذلال فرعون له ، ومن قسوة المصريين عليهم .

ثم أتت قيادته الروحية، منذ بدأت قصة خروجهم إلى البرية .

إنما بدأ موسى بالاشفاق على هؤلاء المساكين المذلين المطحونين ، ولذلك قال عنه الكتاب إنه «خرج لينظر فى أثقالهم» أى فى متاعبهم .

وواضح من أول اصحاح فى سفر الخروج أن الشعب كان يعيش فى عبودية مرة ، إذ قيل «فجعلوا عليهم رؤساء تسخير، لكى يذلوهم بأثقالهم» «فاستعبد المصريون بنى إسرائيل بعنف» «ومرروا حياتهم بعبودية قاسية فى الطين واللبن وكل عمل الحقل. كل عملهم الذى عملوه بواسطتهم كان عنفاً» (خر ١ : ١١ ، ١٣ ، ١٤).

وعاشوا على هذا الحال زمناً طويلاً ، بعد موت يوسف .

لعلهم ذاقوا العبودية المرة ، عقاباً لهم ...
لأنهم باعوا من قبل أخاهم يوسف كعبد !

فسمح الله أن يذوقوا العبودية ، إذ باعوا أخاهم كعبد...

ثم تدخل موسى لأنقاذهم من العبودية . ويكفى الزمان الذى قضوه فيها ...

والعمل الاجتماعى الذى بدأ ، انتهى بعمل روحى عميق ، كما سنرى .

بداية خاطئة

« رأى موسى رجلاً مصرياً يضرب رجلاً عبرانياً من أخوته . فالتفت إلى هنا وهناك ، ورأى أن ليس أحد ، فقتل المصرى وطمره فى الرمل » (خر ٢ : ١١ ، ١٢) .

إنه موقف قد يصفه البعض بالبطولة العلمانية .

ولكننا نلاحظ أن موسى هنا قد وقع فى عدة أخطاء :

١ ـ تدخل بذاته ، دون دعوة إلهية ، ولا حتى بشرية .

٢ ـ تصرف بفكره البشرى كرجل عسكرى ، معتمداً على ذراعه البشرى .

٣ ـ استخدم العنف ، وقتل إنساناً ، وقاوم الخطأ بخطأ .

٤ ـ اشتغل فى الخفاء ، فى الظلام ، لذلك حينما انكشف الأمر ، ووصل إلى سمع فرعون ، « خاف موسى ... وهرب من وجه فرعون ، وسكن فى أرض مديان » (خر ٢ : ١٤ ، ١٥) .

وهكذا أخطأ موسى ، وفشل وهرب .

ولكن الله لم يرفضه بسبب خطئه .

بل نظر الرب إلى غيرته المقدسة ، وأعطاه فرصة لإصلاح أخطائه وتهذيب وسيلته ، دون أن يرفضه ... وأدخله فى مجال التدريب الروحى ، إلى أن يأتى الوقت المناسب الذى يتدخل فيه الله نفسه لإنقاذ الشعب .

وهنا نرى فى سلوك موسى خطأين أساسين :

خطأ فى الطريق وخطأ فى تحديد الموعد .

شرحنا الخطأ فى الأسلوب والوسيلة والطريقة ، أما عن الموعد :

شرحنا الخطأ فى الأسلوب والوسيلة والطريقة ، أما عن الموعد :

ففرعون لم تكمل آثامه وكأس غضبه ، لينتقم منه ...

وكذلك الأمم الذين سيطردهم أمامهم ، لم تمتلىء بعد كأس غضبهم .

وموسى نفسه لم يكمل وقت إعداده وتهيئته للخدمة .

وعندما يأتى الوقت المناسب ، الذى يكمل فيه كل هذا ، سيعمل الله بنفسه ، و بقوة عجيبة ، وسيستخدم موسى أيضاً .

ولكن موسى آخر غير هذا الأمير !

إعداده

طريقة موسى الذى يضرب ويقتل ويطمر فى التراب، لم تكن لها المسحة المقدسة، ولا كانت تناسب إرادة الله. وما كان ممكناً أن يسلم شعبه لقيادة من هذا النوع، وإلا فإنها تضيعه...

كذلك أسلوب الخوف، وأن ينظر هنا وهناك، وإذ لا يجد أحداً، يضرب الرجل ويقتله... ليس هذا أسلوب إنسان يعمل عمل الله. بل هذا عمل بشرى فى الظلام.

وخوف موسى وهربه من فرعون، ليس فيه كرامة أولاد الله. بل الكرامة أن يقف فى قوة ويواجهه، كما فعل إيليا النبى مع آخاب الملك، وكما فعل يوحنا المعمدان مع هيرودس الملك، وكما فعل موسى النبى فيما بعد مع فرعون...

لذلك أخذ الرب موسى، وأعده فى البرية.

أربعين سنة تحت الإعداد، كراعى غنم ...

وكثير من القديسين أعدهم الرب كرعاة، منهم داود النبى...



« أما موسى فكان يرعى غنم يثرون حميه » (خر٣ : ١)

أخذه الفخارى العظيم ، وظل يصوغ طينته ، لتناسب رسالته .

ولم ينظر الرب إلى الأربعين سنة كمدة طويلة ، إنما ينظر الرب باستمرار إلى الوقت المناسب ، الذى ترى فيه حكمته الإلهية أن كل شيء صار مجهزاً للعمل الناجح .

فكيف صار موسى بعد إعداده ؟ وكيف بدأ رسالته بأسلوب إلهى ؟ هذا ما نود أن نذكره

موسى الجديد

لاشك أن الأربعين سنة التى قضاها كراعى غنم فى البرية قد غيّرت الكثير فى نفسه . وعلى الأقل أعطته مجالاً للهدوء وللتأمل ، وللجلوس مع النفس ، وفحص الأمور بتفكير أعمق .

وهذه السنوات الطويلة ، لابد قد أعطته أيضاً نضوجاً فى العمر ، وفى الروح ، ولم يعد له الاندفاع الأول الذى كان فى شخصيته حينما تدخل وقتل المصرى ...

كذلك لا تنسى تأثير بعده عن القصر الملكى ، وعن حياة

الرفاهية والغنى ، وعما فى القصر من أحاديث وسياسات وتدابير...

ولكن الأهم من هذا كله الإعداد الإلهى ، وعمل الروح فيه خلال تلك الفترة ...

كان الله يستخدم كل هذه الوسائط الخارجية : البرية ، الهدوء ، البعد عن القصر ، ونضوج السن ، طبيعة عمل الراعى ... لكى يشكل مختاره ، من الداخل ، بالصفات التى تؤهله روحياً لرسالته التى سيقوم بها .

وإذا بنا بعد هذه الفترة ، أمام موسى جديد « خليقة جديدة » ... تنطبق عليه العبارة التى قالها الرسول فى (٢ كو ٥ : ١٧) :

الأشياء العتيقة قد مضت . هوذا الكل قد صار جديداً .

اختفى موسى الأمير ساكن القصر ، وظهر موسى الراعى رجل البرية .

فما هى إذن عناصر الجدة التى ظهرت فى شخصيته وصفاته .

عناصر الجدة

١ ـ تحول من موسى الذى يندفع إلى العمل بلا دعوة .
إلى موسى الذى يدعوه الله ، فيعتفى من الدعوة .

وجه الله إليه الدعوة عدة مرات ، وفى كل مرة يتهرب منها ويقدم أعذاراً ، حتى غضب الله من هذا الرفض المستمر (خر٣ : ١ إلى ٤ : ١٤)... بينما كان الله يدعوه إلى عمل طالما اشتهاه هو من قبل ، ودفع نفسه إليه . فما السبب الذى جعله يعتفى الآن ؟

❊ ❊ ❊

٢ ـ لقد تحول من موسى الواثق بقدراته .
إلى موسى الذى يقول « من أنا ؟ » .

فى الأول كان يثق بنفسه ، وبأنه يقدر أن يخلص العبرانى من المصرى . وقد فعل ذلك فى عملية فردية ... كما كان يظن أنه يقدر أن يقضى بين إثنين متخاصمين من العبرانيين «خر٢ : ١١-١٣) . أما الآن فإنه يقول للرب : «من أنا حتى أذهب إلى

فرعون ، وحتى أخرج بنى إسرائيل من مصر» (خر٣ : ١١) .

إذا وصل الإنسان إلى عبارة «من أنا ؟»، يكون قد وصل إلى عنصر التواضع اللازم للخدمة .

وما كان موسى يستطيع أن يقول «من أنا ؟!» وهو فى القصر! لأن الإجابة كانت واضحة «أنا إبن إبنة فرعون . أنا الأمير. أن القوى الذى يستطيع»... أما الآن ، فإنه استطاع بعد الإعداد الروحى أن يقول «من أنا ؟!» . لقد أراحه الله من الإعتداد بالنفس ...

***

٣ ـ تحول موسى أيضاً من الإنسان الذى يستخدم العنف والقتل ، إلى إنسان حليم جداً ...

قيل عنه فيما بعد «وكان موسى حليماً جداً ، أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض» (عد ١٢ : ٣) .

حقاً إن صفة الوداعة ، والحلم لازمة للقائد والراعى ، وما كان ممكناً أن يستخدم الله موسى ، وهو يضرب و يقتل و يطمر الجثة فى الرمل (خر٢ : ١٢) .

فى هذا التغير الذى تحول إليه موسى ، نقول أكثر من هذا :

لقد تحول موسى من إنسان يغضب و يقتل ، إلى إنسان يهدىء غضب الله !!

غضب الرب على بنى إسرائيل لما صنعوا لهم عجلاً مسبوكاً ، وسجدوا له وعبدوه ، فقال لموسى « رأيت هذا الشعب ، وإذا هو شعب صلب الرقبة . فالآن أتركنى ليحمى غضبى عليهم وأفنيهم » فتضرع موسى وقال « لماذا يارب يحمى غضبك على شعبك ... ارجع عن حمو غضبك ، واندم على الشر... » (خر٣ : ٧-١٢) .

معنى هذا أن الله قد غضب ... وموسى ما كان قد غضب بعد ، وبقى يهدىء غضب الله ...

ولما رأى الشر العظيم الذى صنعه الشعب ، غضب ووبخهم هم وهارون . ولكنه ظل مع ذلك يشفع فيهم أمام الله ، و يقول له « قد أخطأ هذا الشعب خطية عظيمة ... والآن إن غفرت خطيتهم ، وإلا فامحنى من كتابك الذى كتبت » (خر٣٢ : ٣١ ، ٣٢) .

* * *

٤ ـ لقد اكتسب فى فترة الإعداد : الحنو والاحتمال .

فاستطاع أن يحتمل شعباً صلب الرقبة متمرداً ، سنوات طويلة فى البرية ، يقودهم فى رفق ، ويشفع فى أخطائهم ، بل شفع أيضاً فى مريم لما أخطأت إليه وتكلمت عليه فعاقبها الله ، فطلب إلى الله من أجلها (عد ١٢ : ١ ، ١٣) .

* * *

٥ ـ وتحول من موسى الذى تهذب بكل حكمة المصريين . إلى موسى الذى يقول أنا ثقيل الفم واللسان .

لقد شهد لعلمه سفر أعمال الرسل (أع ٧ : ٢٢) . ومع ذلك لما أراد الله أن يرسله ، أجابه بقوله « لست أنا صاحب كلام ، منذ أمس ، ولا أول من أمس ، ولا من حين كلمت عبدك ، بل أنا ثقيل الفم واللسان » (خر ٤ : ١٠) .

بدأ موسى يشعر بضعفه ، وأنه ليس أهلاً للمسئولية . وصار هذا الشعور هو أكبر مؤهلاته ...

لم يستخدمه الله كما كان ـ وهو أمير ـ يثق أنه قادر على حل المشكلات ، وعلى القضاء بين الناس !! لأنه كان فى ذلك الحين

يعتمد على قوته وكفاءته ، ولا على الله ... كان فى ذلك الوقت يوصل كلمته إلى الناس ، لا كلمة الله .

أما الآن ـ وهو يشعر بضعفه ـ فإنه محتاج إلى قوة الله لتعمل فيه ، وتعمل به ...

حالياً ، وهو ثقيل الفم واللسان ، يحتاج إلى كلمة الله يضعها فى فمه ، فينقل إلى الناس كلمة الله . ينقلها إلى فرعون ، كما ينقلها إلى الشعب ...

وهكذا بدأت قصة دعوته ، وبدأت معها قصة الخروج .

وحينئذ تراءى له الله ...

ظهور الرب له

فى يوم ما كان موسى ينتظره ، وبطريقة ما كان يتوقعها ، ظهر له الرب ، وكلّمه ... فلقاءات الرب لا يُحسب لها حساب باليوم والساعة !!

وصدق الكتاب إذ قال إن :

«ملكوت الله لا يأتي بمراقبة» (لو ١٧ : ٢٠) .

ظهر له الرب فى العليقة . وقصة هذا الظهور معروفة .

ظهر له فى هيئة ملاك الرب ...

وعليقة تشتعل بالنار، وهى لا تحترق ! فقال « أميل لأنظر هذا المنظر العظيم » (خر٣ : ٣) .

وهنا كلّمه الرب ، وعرّفه بنفسه :

قال له : « أنا إله أبيك : إله ابراهيم ، وإله اسحق ، وإله يعقوب » (خر٣ : ٦) . وهنا ذكّره بماض مجيد من الظهورات الإلهية التى كلّم الله فيها أولئك القديسين ابراهيم واسحق و يعقوب ... التى نرى الله هنا ينسب نفسه إليهم !! حاشا ، بل ينسبهم إليه . يتسمى بهم ، بأحبائه الذين أختارهم له ، وكلمهم و باركهم ...

ولعل موسى لما سمع أسماءهم ، دار أمامه شريط حكته له أمه ...

شريط من وعود الله التى تطمئن النفس وتفرحها ... وعوده لابراهيم فى (تك ١٢ : ٢ ، ٣ ، ٧) وفى (تك ١٣ : ١٥ ، ١٦) ،

(تك ١٥) ، (تك ١٧ : ٧ ، ٨) وغير ذلك ... وكذلك وعود الله لاسحق التى بدأها بقوله « أنا إله ابراهيم أبيك » « لا تخف لأنى معك ، وأباركك وأكثر نسلك من أجل ابراهيم عبدى » (تك ٢٦ : ٢٤) ...

وكذلك وعود الله ليعقوب ، وأولها « أنا الرب إله ابراهيم أبيك وإله اسحق » « يكون نسلك كتراب الأرض ... وتتبارك فيك وفى نسلك كل قبائل الأرض » (تك ٢٨ : ١٣ ، ١٤) . وما أجمل ما قيل له فى تلك الرؤيا الإلهية :

وها أنا معك ، وأحفظك حيثما تذهب ، وأردك إلى هذه الأرض » (تك ٢٨ : ١٥) .

إن الله إذن ليس غريباً عليه ، ان إله آبائه ، الذى سيحقق معه بعض الوعود التى وعد بها آباءه من قبل ... بداية مفرحة بلاشك ... ولكنه أيضاً تذكره بذلك الإله القوى المهوب ، الذى قال له أبوه ابراهيم « قد شرعت أن أكلم المولى ، وأنا تراب ورماد ! » (تك ١٨ : ٢٧) . لذلك غطى موسى وجهه ، لأنه خاف أن ينظر إلى الله » (خر ٣ : ٦) ... إنه فى ساعة مقدسة ، وفى موضع مقدس ، وأمام أمر إلهى يقول :

« اخلع حذاءك من رجليك، لأن الموضع الذى أنت واقف عليه أرض مقدسة » (خر ٣ : ٥).

وهذا الأمر الإلهى يعطينا قاعدة هامة، وهى أن خشوع الروح يصحبه أيضاً خشوع الجسد.

لأنه من الجائز أن يقول البعض: يكفى خشوع الروح!! ما لزوم خشوع الجسد؟! كلا، فإن الإنسان كله يخشع أمام الله، روحاً وجسداً، الروح متحدة بالجسد، مشاعرها تتحد بمشاعره. وإلا لماذا نسجد أمام الهيكل؟ ألا يكفى إنحناء الروح؟! كلا، فالروح حينما تنحنى، ينحنى الجسد معها تلقائياً، ويشعر أنه داخل إلى مكان مقدس... وحينما ينحنى، وحينما يخلع حذاءه، يشعر أنه أمام مكان غير عادى، فتسرى فى داخله مشاعر مقدسة...

وإذا بخشوع الجسد، يؤدى إلى خشوع الروح.
كما أن خشوع الروح، يصحبه خشوع الجسد.

وهكذا حينما نقول « قدوس قدوس قدوس »، نجد أنفسنا ننحنى تلقائياً بالجسد، الذى يشترك فى التسبيح مع الروح...

وقديماً كانوا لا يدخلون الكنائس بالأحذية، ومازال هذا الأمر



« فقال موسى : أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم .. لماذا لا تحترق العليقة ؟! » (خر٣: ٣) .

متبعاً فى أديرتنا القبطية حتى الآن... فعلى الأقل الآن، لا يمكن دخول الهيكل بالحذاء، لأنه مكان المذبح والذبيحة، حيث يقف الملائكة أيضاً خاشعين كما يفعل السارافيم (اش ٦ : ٢ ، ٣).

ولعل البعض يسأل : ولماذا الحذاء، نخلعه ؟

الحذاء بالذات، هو الجزء الذى نتصل فيه بالتراب، بالأرض، وبالمادة، بشكل مباشر... وحينما تخلع حذاءك، بالضرورة تنحنى، وتتذكر الوصية التى أمر بها الرب عبده موسى، النبى العظيم :

وماذا عندما خلع موسى حذاءه، ووقف بخوف أمام الله ؟

حينئذ سمع وعد الرب بالخلاص :

قال الرب «إنى قد رأيت مذلة شعبى الذى فى مصر، وسمعت صراخهم من أجل مسخريهم، إنى علمت أوجاعهم، فنزلت لأنقذهم...» (خر٣ : ٧ ، ٨). وشرح الرب كيف أن صراخهم اتى إليه، وأنه رأى ضيقتهم، ووعد بأنه سينقلهم إلى أرض «تفيض لبناً وعسلاً».

وجميل أن يتأكد كل من هو فى ضيقة.

أن الرب شاعر به ، وأنه يرى ويسمع .

ولاشك أن الله كان يرى كل هذا من بادىء الأمر. ولكن قوله : رأيت وسمعت ، وصراخهم وصل إلىّ ... كل ذلك يعنى أن الأمر أصبح فوق مستوى الاحتمال ، بحيث لا يمكن أن يسكت الله عليه أكثر من هذا ... وأن وقت الخلاص قد حلّ ...

وماذا يعنى هذا أيضاً ؟

يعنى أن الله بدأ يتدخل فى العمل ، ويتولى قيادته وتدبيره بنفسه .

الدعوة الالهية

ومع قيادة الله للعملية ، دعا موسى للعمل :

فقال له « والآن هلم فأرسلك إلى فرعون ، وتخرج شعبى بنى إسرائيل من مصر» (خر٣ : ١٠) ... ولكن موقف موسى فى قصة الخروج ، سيكون مجرد جهاز تنفيذى للمشيئة الإلهية . سوف لا يتولى التدبير، لأن التدبير سيكون لله وحده ...

الله هو الذى سيضع الخطة ، وموسى سيكون مجرد آلة فى يد الله .

يطيع ، و ينقل مشيئة الله إلى الشعب ، وإلى فرعون .

والعجيب فى أمر هذه الدعوة ، أن موسى الذى كان شغوفاً بانقاذ الشعب من قبل ، صار الآن زاهداً فى هذه المهمة جداً ... إنها الآن ليست إرادته ، إنما إرادة الله ...

* * *

ومع ذلك ، اعتذر عن الدعوة بعدة أعذار :

وكان كل عذر يقوله ، يرد الله عليه ، فيقدم موسى عذراً آخر.. لقد وصل عدد اعتذاراته إلى أربعة على الأقل .

١ ـ العذر الأول ، هو : من أنا ؟!

« من أنا ، حتى أذهب إلى فرعون ، وحتى أخرج بنى إسرائيل من مصر؟! » وكان رد الرب على هذا العذر كافياً ووافياً إلى أبعد الحدود ، إذ قال الله « إنى أكون معك » ... ليس المهم من أنت . إنما المهم هو القوة الإلهية العاملة معك ... ولما رأى موسى أن هذا العذر قد أجيب عليه ، انتقل إلى العذر الثاني فقال :

٢ ـ بماذا أجيبهم إن سألونى قائلين : ما اسم إلهك ؟

لقد كان فى مصر، وفيها آلهة عديدة ، وكل إله له إسم وعمل قصة ، فما هو إسم الله هذا الذى يرسله ؟ فقال له الربّ عن إسمه « أهيه الذى أهيه » أى الكائن الذى يكون... إنه « إله آبائكم ، إله ابراهيم ، وإله اسحق ، وإله يعقوب » (خر٣ : ١٥ ، ١٦) . وأوصاه أن يقول لهم إن اله آبائهم هذا ، جاء ليفتقدهم ...

وهنا قدم موسى العذر الثالث ، فقال :

٣ ـ إنهم لا يصدقوننى ولا يسمعون لى :

وهنا قدّم الله له موهبة صنع العجائب ، التى تذهل الشعب فيصدق . ورأى موسى العجائب أمام عينيه : عصاه ، و يده ، وماء النهر (خر٤ : ١ ـ ٩)... ومع كل هذا ، كان موسى يشعر بضعفه أمام هذه الخدمة ، لذلك قدم الاعتذار الرابع ، فقال :

٤ ـ لست أنا صاحب كلام ... أنا ثقيل الفم واللسان (خر٤ : ١٠) .

ولم يكن هذا مجرد كلام اتضاع ، كما يتظاهر البعض بألفاظ اتضاع زائف . وإنما هو كان هكذا فعلاً... فردّ عليه الرب قائلاً

« اذهب ، وأنا أكون مع فمك ، وأعلمك ما تتكلم به » ...

٥ ـ ومع ذلك اعتذر موسى مرة أخرى ، بلا سبب . وقال للرب « استمع أيها السيد ، ارسل بيد من ترسل » . ارسل أى أحد غيرى ... لدرجة أنه حمى غضب الله عليه ، ومع ذلك لم يرفضه ، وإنما قدم له معونته ... قدّم له هرون أخاه معيناً له « تكلمه ، وتضع الكلمات فى فمه ، وأنا أكون مع فمك ومع فمه ، وأعلمكما ماذا تصنعان » (خر٤ : ٥) .

« هو يكون لك فماً ، وأنت تكون له إلهاً . وتأخذ فى يدك هذه العصا ، التى تصنع بها الآيات » (خر٤ : ١٦ ، ١٧) .

[يقصد بعبارة تكون له إلهاً : أى تكون سيداً له . أنت توحى إليه بالكلام ، الذى أضعه أنا فى فمك . وهو ينطق به ، فيكون لك فماً] .

وهكذا نرى أن الله لم يشفه من الضعف الذى فيه (ثقل الفم واللسان) ، وإنما استبقاه معه ، وأعطاه معونة ، هرون ، والعصا ، والوعد الإلهى أكون مع فمك ، وأعلمك ما تتكلم به . وأخيراً قبل موسى الدعوة الإلهية وأطاع .

ومن باب الأدب واللياقة، ذهب إلى حميه يثرون وأخبره بالأمر، وقال له «ها أنا أذهب إلى أخوتى الذين فى مصر...» فقال له يثرون «اذهب بسلام».

وكان موسى فى ذلك الوقت فى أرض مديان، وكان حميه هو كاهن مديان (خر٣: ١) (خر٤: ١٩). وأرسل الله هذا الضعيف الثقيل اللسان، وأرسله من مديان إلى مصر...

حقاً اختار الله ضعفاء العالم و ليخزى بهم الأقوياء (١كو١: ٢٧).

اختير الإنسان الثقيل الفم واللسان، ليكون كليم الله.

اختير الإنسان الذى ليس هو صاحب كلام، ليحمل كلمة الله إلى فرعون وإلى الشعب، ولينقل كلام الله -فى شريعته- إلى العالم كله.

اعتذار واعتذارات

هناك فرق بين اعتذار موسى عن الخدمة واعتذارات آخرين.

١ - لم يكن مثل اعتذار يونان، الذى هرب من الرب.

ولم يهرب تواضعاً ، لشعور بالضعيف أو عدم الاستحقاق ، إنما هرب حفاظاً على كرامته ، وحفاظاً على نفاذ كلمته .

خاف أن ينادى على مدينة نينوى بالهلاك . ويعود الرب فيتراءف عليها ، وهكذا تسقط كلمة يونان !! لهذا هرب . ولما دخل الرب معه فى عتاب ، بعد توبة نينوى ، قال يونان للرب وهو مغتاظ « ... لذلك بادرت بالهرب إلى ترشيش ، لأنى علمت أنك إله رؤوف رحيم ، بطىء الغضب وكثير الرحمة ، ونادم على الشر» (يون ٤ : ٢) .

٢ - لم يكن اعتذار موسى عن عدم أهتمام بالخدمة . أو رغبة فى الانشغال بأمور العالم .

كما حدث للبعض ممن دعاهم رب المجد يسوع المسيح . فقال أحدهم « أئذن لى يا سيد أن أمضى أولاً وأدفن أبى » وقال آخر « أئذن لى أولاً أن أودع الذين فى بيتى » (لو٩ : ٦ : ٦١) .

أو أولئك الذين دعاهم إلى العشاء العظيم « فابتدأ الجميع برأى واحد يستعفون : قال له الأول : إنى اشتريت حقلاً ، وأنا مضطر أن أخرج وأنظره ، أسألك أن تعفينى . وقال آخر : إنى اشتريت خمسة أزواج بقر ، وأنا ماض لأمتحنها ، أسألك أن

تعفيني. وقال آخر: إني تزوجت بامرأة، فلذلك لا أقدر أن أجيء»... (لو١٤: ١٨- ٢٠).

٣ - لم يكن أعتذار موسى عن عدم غيرة، وإنما عن عدم قدرة... ولم يكن مجرد كلام اتضاع، وإنما كان شعوراً حقيقياً بالضعف.

وأسئلته الكثيرة التي قدمها للرب في أعتذاراته، كانت دليلاً على أنه كان يأخذ الموضوع بطريقة جدية، ويعرض مشاكل هذه الخدمة أمام الله.

والله لم يقبل اعتذارات موسى، وثبت دعوته.

ومنحه هارون، والعصا. وشرح له ماذا يفعل...

❊ ❊ ❊

والأمر الجميل الذي يستدعي الانتباه في موضوع العصا، قول الكتاب «وأخذ موسى عصا الله في يده» (خر٤: ٢٠).

هذه كانت إذن عصا الله، وليست عصا موسى.

والمعجزات التي صنعها موسى، لم يصنعها بعصاه، وإنما بعصا الله... تلك العصا التي قال له الله عنها «وتأخذ في يدك هذه العصا التي تصنع بها الآيات» (خر٤: ١٧).



« وأخذ موسى عصا الله فى يده » (خر ٤ : ٢٠)

الفصل الثالث

بدء الخدمة ومراحل عمل الرب

بدايـة متعبـة

قال الرب لموسى «اذهب وارجع إلى مصر، لأنه قد مات جميع القوم الذين كانوا يطلبون نفسك» (خر ٤ : ١٩).

وهذا يشبه بعض الشيء، ما قاله ملاك الرب ليوسف النجار، وهو هارب فى مصر من وجه هيرودس «قم وخذ الصبى وأمه، وأذهب إلى أرض إسرائيل، لأنه قد مات كل الذين يطلبون نفس الصبى» (متى ١ : ٢٠).

إن الله يصدر أوامره فى الوقت المناسب، الذى يبعد فيه الخطر عمن يرسلهم.

مات فرعون الذى بينه وبين موسى إشكال.

ولكن جاء فرعون آخر بينه وبين الشعب إشكال.

وهنا أصبحت الحرب بين فرعون والرب، وليس بين فرعون وموسى.

وبدأت خدمة موسى، حسب أوامر الرب.

نفذ كل شيء أمره الرب به ، فحلّت به المتاعب !!

كيف ؟ ولماذا ؟ وما الحكمة الإلهية فى كل هذا ؟ ولماذا سمح ؟

هارون قابل موسى فى الطريق ، فأخبره موسى بجميع كلام الرب... وجمعا كل شيوخ بنى إسرائيل ، وحدثاهم بكلام الرب ، وأن الرب أفتقدهم ونظر إلى مذلتهم . فآمن الشعب ، وخروا وسجدوا (خر٤ : ٢٧- ٣١) .

إلى هنا ، كل شيء طيب .

ولكن لما تحدث موسى وهرون مع فرعون انقلب الأمر تماماً .

وبدا أن وعد الرب بالخلاص ، قد صار سبباً لمتاعب جديدة .

اتهم فرعون موسى وهرون بأنهما يبطلان الشعب عن أعماله... وبعد أن كان يصرف للشعب التبن مع الطين لصنع الطوب ، أمر بعدم صرف التبن ، إنما يجمعونه لأنفسهم ، ويثقل عليهم فى العمل... فلما اشتكوا قال لهم «متكاسلون أنتم متكاسلون . لذلك تقولون نذهب ونذبح للرب...» (خر٥ : ١- ٨) .

وتذمر الشعب من موسى وهرون ، واشتكوهما إلى الله .

ووقف موسى يعاتب الرب ...

« يا سيد ، لماذا أسأت إلى هذا الشعب ؟! لماذا أرسلتنى ؟! » .

« فإنه منذ دخلت إلى فرعون لأتكلم باسمك ، أساء إلى هذا الشعب . وأنت لم تخلص شعبك ؟! » (خر ٥ : ٢٠ - ٢٣) .

بدا أن موسى قد فشل على طول الخط !!

لا هو قام بالإصلاح المطلوب ... بل الشعب زادت أثقاله .

ولا هو كسب الشعب الذى قال له ولهرون « ينظر الرب إليكما و يقضى ، لأنكما أنتنتما رائحتنا فى عينى فرعون وفى عيون عبيده » (خر ٥ : ٢١) .

وكأن الشعب يقول لهما : ابعدا عنا ، فهذا أفضل لنا .

وأصبح موقف موسى وهرون حرجاً للغاية ، أمام فرعون ، وأمام الشعب ، وأمام نفسيهما .

وبدا أن الله لم يخلص شعبه !!

أين وعودك يارب ؟ وأين وقوفك معنا فى وجه فرعون

وعبيده ؟! فرعون هذا الذى لم يأبه باسم الله ! وازدادت قسوته !

فقال الرب لموسى : الآن تنظر ما أنا أفعل بفرعون (خر٦ : ١).

وكانت خطة الرب فى إنقاذ الشعب تشمل مراحل معينة .

أربع مراحل

فى الواقع إن قصة إنقاذ الرب للشعب من عبودية فرعون ، أخذت عدة مراحل ، لعلها أربع مراحل .

١ ـ المرحلة الأولى كانت بين الله وموسى .

دعوة موسى ، والتفاهم معه واقناعه ، لكى يقبل هذه الخدمة و يقوم بها . وأخذت هذه المرجلة دوراً قد شرحناه ، ووافق موسى ، وأنضم إليه هرون بدون نقاش .

٢ ـ المرحلة الثانية كانت بين الله وفرعون .

وهى التى قال الله لموسى عن بدايتها «الآن تنظر ماذا أنا أفعل بفرعون... وكما أطال الله أناته على موسى ، فى دعوته ، كذلك أطال أناته على فرعون... إلى آخر حدود طول الأناة...

لماذا ؟ وكيف ؟ هذا ما سوف نشرحه فيما بعد ...

٣ ـ المرحلة الثالثة كانت بين الله وشعب إسرائيل .

فى تذمره وعناده فى البرية ، قيادته لم تكن سهلة ! وقال عنه الرب إنه صلب الرقبة .. (خر٣٢ : ٩) (خر ٣٣: ٣٣، ٥) بل عبد هذا الشعب الأوثان ، ورفض الرب (خر٣٢) وصبر الرب عليه وتشفع فيه موسى ...

عجيب أن الله يريد أن يخلص قوماً ، وهم لا يريدون لأنفسهم الخلاص .

يريد أن يقودهم إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً ، وهم لا يريدون !! و يشتهون الكرات والبصل والثوم .

يشبه هذا ما قاله السيد المسيح لهم فيما بعد «كم مرة أردت ... ولم تريدوا » (متى ٢٣ : ٣٧) .

٤ ـ المرحلة الرابعة : بين الله وشعوب والأرض .

هؤلاء الذين كان كأس غضبهم لم يمتلىء بعد ... وكانوا أيضاً وثنيين و بعيدين عن الله .

وقصة الخلاص دخلت فى هذه المراحل الأربع .

ونبدأ بدور الله مع فرعون ...

بين الله وفرعون

أرسل الرب موسى برسالة منه إلى فرعون، ليطلق الشعب كى يعبدوه فى البرية. ولكن فرعون لم يسمع للرب ولا لموسى. بل تعجرف وقال «من هو الرب حتى اسمع لقوله؟! لا أعرف الرب..» (خر٥: ١، ٢).

ولعلنى هنا أبدى ملاحظة هامة وهى:

إن الرسالة التى أمر الله موسى أن يبلغها: لم يسمعها موسى وحده، وإنما سمعها الشيطان أيضاً، فتدخل...

وسبق، فدخل فى قلب فرعون، ولعله هو الذى تكلم على فمه «من هو الرب حتى أسمع لقوله؟!».. إن الأمر لم يصدر إلى فرعون من رع أو آمون أو حورس... إنما من إله لا يعرفه، من إله يقف ضد رغباته، ضد ظلمه وتسخيره للناس... وبدا كأن فرعون قد أعلن الحرب على الله، بأن خالفه وتحداه...

وهكذا لم تعد الحرب بين موسى وفرعون...

إنما صارت الحرب بين الله وفرعون : الله ومعه عبده موسى ، وفرعون ومعه سيده الشيطان .

كان بالإمكان أن يسحق الله فرعون فى لحظة واحدة . ولكنه تأنى ولم يفعل ...

فرعون يمثل القلب القاسى الذى لا يستجيب لكلمة الله ، بل لا يستجيب أيضاً لتهديدات الله ، ولا لإنذاراته .. وهو من النوع الذى ـ فى ضعفه ـ يعد الله كثيراً ، ولا ينفذ شيئاً من وعوده .. ! إنه يمثل القلب القاسى ، الذى ينبه الرسول أمثال أصحابه قائلاً « إن سمعتم صوته (صوت الله) ، فلا تقسوا قلوبكم » (عب ٣ : ١٥) .

وهنا نرى معاملة الرب للخطاة ، حتى الهالكين منهم .

لقد تصرف الله مع فرعون بطريقة هادئة جداً ، بكل طول أناة ، وبكل رقة ولطف . ولم يعامله بنفس أسلوبه .. كان الله قد أرسل إليه إثنين من قديسيه ، أحدهما نبى والآخر رئيس كهنة ، ومع ذلك لم يسمع .. ورفض الله قائلاً « من هو الرب حتى اسمع لقوله ؟! » .. أما من جهة الشعب فقد ازدادت قسوته عليهم .. إن كان لديكم وقت فراغ تعبدون الرب ، فسوف لا أترك لكم وقتاً

تتفرغون فيه للعبادة.. حقاً متكاسلون أنتم متكاسلون.. وهكذا أزاد النير عليهم (خر ٥ : ٦ ـ ٨).

فماذا كان موقف الرب منه ؟ كأني بالرب يقول :

إن كان فرعون لا يعرفنى ، فسوف أعرّفه بذاتى بقوات وعجائب ...

عجائب وسحر

وأجرى الله عجائب أمام فرعون ، على يد موسى النبى .

ولم يستجب فرعون للعجائب ... لماذا ؟ لقسوة قلبه ، وأيضاً :

لأن الشيطان تدخل مرة أخرى ، عن طريق السحرة !

وكما فعل موسى وهرون ، فعل السحرة أيضاً. والقياس مع الفارق! ألقى هرون عصاه ، فصارت ثعباناً. وألقى السحرة عصيهم فصارت ثعابين.. واشتد قلب فرعون ، فلم يسمع لموسى وهرون (خر٧: ١٠- ١٣).

وهكذا حدث مع ماء النهر (خر ٧ : ١٩ ـ ٢٣) .



« ولكن عصا هرون ابتلعت عصيهم » (خر ٧ : ١٨)

وهنا أود أن أحدثكم قليلاً عن موضوع السحر هذا ...

السحرة موجودون فى مصر منذ زمن طويل.. من أيام يوسف الصديق.. حدث لما رأى فرعون ذلك الزمان حلماً فيه ابتلعت السنابل الرقيقة السنابل السمينة، أن «نفسه أنزعجت. فأرسل ودعا جميع سحرة مصر وجميع حكمائها. وقصّ عليهم فرعون حلمه. فلم يكن من يفسره» (تك ٤١ : ٨).. فجاء يوسف وفسرّه له.

ونسمع عن السحر أيضاً فى سفر دانيال النبى (دا ١ : ٢٠).

السحر إذن كان موجوداً. والسحرة كانوا من حكماء الشعب. وكانوا من أصحاب القدرات الخارقة.

وكان الملوك محاطين بالسحرة والعرفاء (دا ٢ : ٢، ١٠).

وفيما بعد نسمع أن الله أمر بإبادة السحر، إن وجد فى المحلة. فقال لموسى «لا تدع ساحرة تعيش» (خر٢٢ : ١٢).

ونسمع أيضاً عن سحرة فى العصور المسيحية الأولى: الساحر كبريانوس فى قصة القديسة يوستينا، والساحر أثناسيوس فى قصة القديس مارجرجس...

السحر جزء من عمل الشيطان. والسحرة يشتغلون بقوة الشياطين.

الشياطين تساعدهم فى مقابل أن تسيطر على شخصياتهم .

ونسمع فى أيام رسل السيد المسيح القديسين ، أنه نتيجة للإيمان وانتشار الكرازة «كان كثيرون من الذين يستعملون السحر، يجمعون الكتب ويحرقونها أمام الجميع» (أع ١٩ : ١٩) .

أنا أعتقد أن السحرة لما ألقوا عصيهم فصارت ثعابين، لم تكن ثعابين حقيقية !

يمكن أن العصا بعمل الشيطان ، تأخذ شكل ثعبان . والشيطان يستطيع أن يحركها . ولكنها لا تصير ثعباناً حقيقاً . لأن الشيطان لا يستطيع أن يخلق من المادة الجامدة كائناً حياً . إنما هى تخيلات ... لهذا استطاعت عصا هرون التى صارت ثعباناً أن تبتلع كل تلك المناظر التى هى مجرد (فنطسات) كما يقول الآباء ، أى أشياء Fantastic .

لقد تنازل الله إلى فهم هؤلاء الناس .

لكى يقنعهم بحسب عقلياتهم ومفاهيمهم .

يريهم أعجوبة حسب مستواهم، ليظهر لهم ضعفهم، وضعف سحرهم وشياطينهم.

أساليب الله مع فرعون

بقى فرعون كما هو، لم يتزحزح عن قسوة قلبه ... لقد استخدم الله معه أسلوبين هادئين، فلم يخضع. فكان لابد من الأسلوب الثالث. فما هى تلك الأساليب الثلاثة ؟

١ ـ أول أسلوب كان التفاهم، بإرسالية هادئة أوصلت إليه أوامر الرب بطريقة لطيفة. ولكن التفاهم لم يأتِ بنتيجة عكسية، أو أتى بنتيجة عكسية، فاشتد على الشعب بالأكثر..

وبدا كأن الشعب قد بدأ ييأس، ويفقد الأمل فى معونة الله، أو يفقد الثقة فى إرسالية موسى، وفى الوعود التى يقولها لهم عن إنقاذ الرب لهم. لأنه لما كرر تبليغ هذه الوعود «لم يسمعوا لموسى، من صغر النفس، ومن العبودية القاسية» (خر٦ : ٩).

وكان لابد أن يعمل الله عملاً، فاستخدم الأسلوب الثانى :

٢ ـ أسلوب الأعجوبة، دون أن تصيبه أولاً بأذية. وأعجوبة تحويل الماء إلى دم، كان فيها ضرر خفيف، لأنهم حفروا فى

الأرض للحصول على المياه الباطنية. وماذا كانت النتيجة؟ لقد «دخل فرعون إلى بيته، ولم يوجه قلبه إلى هذا أيضاً» (خر٧: ٢٣، ٢٤).

٣ - فكان لابد من الأسلوب الثالث، وهو الضربات.

ولكنه لم يستخدم أسلوب الضربات، إلا أخيراً، بعد أن أطال أناته كثيراً...

طول أناة الله

كل هذا يرينا طول أناة الله، حتى مع أعدى أعدائه. لا يلجأ إلى الضربة إلا أخيراً، بعد أن يستنفذ كل الطرق الأخيرة.

الناس يطلبون أن هذه المرحلة الأخيرة، تكون نقطة البدء!! ولكن ليس هكذا أسلوب الله، حتى مع فرعون!

الله وعد بخلاص الشعب. وقال «إنى قد رأيت مذلة شعبى ... وسمعت صراخهم ... علمت أوجاعهم، فنزلت لأنقذهم» (خر٣: ٧، ٨). ولعل البعض سأل وقتذاك «أين يارب هذا الانقاذ؟ ولماذا تنتظر هذه المدة؟ لماذا تصبر على هذا الرجل

فرعون ، وتطيل بالك هكذا ، ونحن نتعب ؟! » .

ولعل الرب يجيب على صاحب هذه السؤال فيقول :

« لولا صفة طول البال عندى ، ما كنت تعيش أنت » !!

أنت أيضاً فرعون مثله ! وما أكثر ما يقسو قلبك !

حقاً ، لولا طول أناة الله علينا ، كما أطالها على فرعون ، لهلكنا منذ زمان...

على أن فرعون لم يستفد من طول أناة الله . واشتد على الشعب بالأكثر ، ورفض كلام موسى ...

وكانت نتيجة طول أناة الله التذمر من كل ناحية :

* فرعون نفسه تذمر على موسى وهرون وقال لهما :

« لماذا يا موسى وهرون تبطلان الشعب عن أعماله ؟! اذهبا إلى أثقالكما » (خر ٥ : ٤) . وتضايق فرعون وغضب . وأصدر أوامر وقرارت عكسية ...

* وتذمر الشعب من الثقل الجديد الذى أضيف إليه من فرعون ، « ووجدوا أنفسهم فى بلية » وذهب مدبرو الشعب

ساخطين إلى موسى وهرون وقالوا لهما «ينظر الرب إليكما ويقضي. لأنكما أنتنتما رائحتنا فى عينى فرعون وفى عيون عبيده، حتى تعطيا سيفاً فى أيديهم ليقتلونا» (خر٥ : ٢١).

* وموسى نفسه تعب أيضاً، وذهب يعاتب الرب ويقول «لماذا أسأت يا سيد إلى هذا الشعب؟ لماذا أرسلتنى؟! فإنه منذ دخلت إلى فرعون لأتكلم باسمك، أساء إلىَّ هذا الشعب، وأنت لم تخلص شعبك!!» (خر٥ : ٢٢، ٢٣).

فهل فشلت طول أناة الرب مع فرعون؟!

أو لنقل: بل فشل فرعون فى الاستفادة من طول أناة الرب.

وماذا كانت الخطوة التالية بعد كل هذا؟

كانت طول أناة أخرى؟ وما نتيجتها؟

الفصل الرابع

طول أناة الله

درس فى طول الأناة

قال الكتاب عن موسى النبى :

«وكان الرجل موسى حليماً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض» (عد ١٢ : ٣) .

فهل تظنون أن هذا الحلم العجيب قد صدر من فراغ ؟!

كلا بل قد تعلمه من الله نفسه تبارك إسمه . لأن موسى فى باديء أمره ، كان يستخدم العنف (خر٢ : ١٢) ولم يكن حليماً ...

ولكنه لما عاش مع الله الطويل الأناة ، تعلم الأناة .

وكيف كان ذلك ؟

رأى الرب مذلة الشعب ، ووعد بإنقاذهم . وأرسل موسى وهرون برسالة إلى فرعون . وردّ فرعون بخشونة قائلاً « من هو الرب

حتى اسمع لقوله ؟! .. لا أعرف الرب » (خر ٥ : ٢) . ورفض أن يطلق الشعب ، بل أثقل عليهم النير بالأكثر.

وكان موقفاً مثيراً من فرعون . ولكن الله قبله بهدوء .

كان من المتوقع أن يضرب فرعون ضربة شديدة ، رداً على تجاهله المرب ، ورداً على تحديه الذى تحدى به الإرادة الإلهية ، بالقول وبالفعل ...

ولكن الرب لم يضرب . وفى هدوء أرسل موسى إلى فرعون مرة أخرى ، قائلاً له :

« أدخل قل لفرعون » (خر ٦ : ١١) .

يارب قد دخلنا وقلنا ، ولم يأتِ بنتيجة .

أدخل هذه المرة ، وستكون معك عجائبى التى تصنعها بعصاك ...

وقد كان (خر ٧ : ١٠) .

واستخدم فرعون من عنده من السحرة والحكماء، ليتحدى بسحرهم عجائب الرب (خر٧: ١١). وكانت عجيبة الرب أقوى ...

ولم يطع فرعون من العجيبة الأولى. ولم يغضب الرب، فكانت العجيبة الثانية. وعاد فرعون يستخدم مَنْ عنده من السحرة والحكماء والعرافين (خر٧: ٢٢).

وبقى فرعون على قساوة قلبه. وبقى الله فى طول أناته.

ما ضرب فرعون ضربة تسكته، وما ضرب سحرته وعرافيه، ولا هو أخرج الشعب بقوته الإلهية ليعبدوه فى البرية...

وإنما انتظر وصبر بطول أناة عجيبة... لم يغرق فرعون فى النهر هو وفرسانه. فقد كانت تلك هى الضربة الأخيرة القاضية.

بل أخذت ضربات الرب تشتد وتتوالى، معطياً فرصة لفرعون يقول فيها لموسى وهرون «صليا لأجلى» (خر٨: ٢٨).

وفى ضربة الضفادع قال لهما صليا إلى الرب ليرفع الضفادع عنى وعن شعبى» (خر٨: ٨).

وفى كل مرة كان الرب فيها يرفع الضربة عن فرعون، كان قلب فرعون يشتد مرة أخرى، و يعود إلى قساوته و ينسى وعوده.

وبطول أناة الرب، أعطى فرصة لفرعون يقول فيها لموسى

وهرون «أخطأت هذه المرة. الرب هو البار، وأنا وشعبى الأشرار» (خر٩ : ٢٧) . ولكنها لم تكن توبة حقيقية، إنما مجرد خوف ورعب، ما أن تزول أسبابه، حتى يعود فرعون إلى قسوته.

واستمر الرب فى هذه الضربات حتى صارت عشرة، يأتى بها ثم يرفعها، فى طول أناة عجيبة.

الحكمة فى ذلك

ماذا كانت الحكمة من طول أناة الرب بالنسبة إلى فرعون، وبالنسبة إلى موسى وهرون؟

بالنسبة إلى فرعون، كانت تعطيه فرصة للتوبة، لو أنه أراد.

لاحظ أنه بدأ يستخدم عبارة (الرب) أو «صليا إلى الرب عنى»! هذا الذى كان يقول من قبل «لا أعرف الرب» (من هو الرب حتى أسمع له» (خر٥ : ٢).

على الأقل إن لم تكن طول أناة الرب تقتاده إلى التوبة، فالرب ينتظر عليه حتى يكمل ويمتلىء كأس غضبه...

وحينئذ حينما يضربه الضربة الأخيرة القاضية، لا يكون قد أقتحمه أقتحاماً، إنما قد أعطاه فرصاً كثيرة، هو وسحرته وعرافيه، ولم يستفد منها.

وماذا عن طول أناة الرب بالنسبة إلى موسى وهرون وإلى الشعب...

إنه كان وعدهم. وطول أناته كانت اختباراً لايمانهم بمواعيده.

هل يثقون بأن وعد الله لابد أن يتم، ويحقق الله الخلاص لهم، أم أن إيمانهم بكلام الله يضعف أمام الظروف الخارجية الضاغطة؟!

بالنسبة إلى بني إسرائيل، كان إيمانهم قد ضعف من الداخل «ولم يسمعوا لموسى من صغر النفس ومن العبودية القاسية» (خر٦: ٩).

بدا أمامهم أن وعد الله لم يتحقق، وأنه لم يخلص شعبه (خر٥: ٢٣)، وأنقلبت حالهم إلى أسوأ...

إنها الشكوك التى تحارب الإنسان حينما (يتأخر) الله فى تنفيذ مواعيده.

ابراهيم أبو الآباء وعده الله بأن يعطيه نسلاً. ومرت سنوات طويلة ، ولم تلد سارة ، فلجأ إلى هاجر . وأصابه يأس فى أن تلد سارة، وقال للرب «ليت اسماعيل يعيش أمامك» (تك ١٧ : ١٨) . ولكن الله كرر له الوعد قائلاً «بل سارة امرأتك تلد لك إبناً» (تك ١٧: ١٩) .

سارة نفسها لما سمعت وعد الرب ظنته فكاهة فضحكت !!

ضحكت فى داخلها وقالت «أبعد فنائى يكون لى تنعم ، وسيدى قد شاخ ؟!» (تك ١٩ : ١٢) .

نعم ، ما أسهل أن يتعب الإنسان من صغر النفس ، من طول الوقت . ومن ملل الانتظار يضعف الإيمان .

إن الله بطول أناته يختبر صبر الإنسان ، ويختبر صموده .

هل يستطيع أن يصبر، وأن يصمد أمام حروب الشياطين فى فترة الصبر والانتظار؟

فعندما وعد الله موسى وهرون ، سمعت الشياطين هذا الوعد ، فعملت على عرقلة تنفيذه ، وذهبت إلى فرعون تشدد قلبه ، وتعطيه

روح العناد والتحدى ، والتحلل من كل وعوده التى قالها أثناء الضيقة ...

وبدأت الشياطين أيضاً تعمل فى سحرة فرعون وفى العرافين .

أترانا إذن نستطيع أن نصمد أمام الشكوك وحروب العدو، كلما أطال الله أناته فى تنفيذ مواعيده وفى تقديم خلاصه . هوذا الرسول يقول :

«بضيقات كثيرة ينبغى أن ندخل ملكوت الله» (أع ١٤ : ٢٢).

إن خلاص الله الذى وعد به ، لابد أن يتم .. ولكن ضيقات كثيرة قد تعترض طريق هذا الخلاص . ليس فقط من فرعون ، بل من الشياطين أيضاً . يقول يشوع بن سيراخ :

«يا ابنى إذا تقدمت لخدمة ربك ، فهيىء نفسك لكل التجارب» .

ونحن نتلو هذه العبارة فى طقس سيامة الرهبان . ونقرأ هذا الفصل فى صلاة الساعة الثالثة من ثلاثاء البصخة المقدسة .

وكما يقول أيضاً «إن الحديد يُختبر بالنار، والناس بالهوان» ..

إن الله قد أعطى وعداً . وترك فرصة لفرعون وللشيطان .

الله استخدم مبدأ تكافؤ الفرص حتى مع فرعون والشيطان .

المهم أن أولاد الله يحتملون .. و يشكرون الله على طول أناه ، و ينتظرون الرب ، كما قيل فى المزمور «أنتظر الرب . تقوّ وليتشدد قلبك ، وأنتظر الرب» (مز٢٧ : ١٤) أى أنك لا تنتظر فى ضعف ، وإنما بقلب قوى شديد ، واثق بالرب .

وإلى متى تنتظر؟ يقول المرتل فى المزمور «أنتظرت نفسى الرب من محرس الصبح حتى الليل» (مز١٢٩) .

اشكر الرب ، لأنه إن كان قد أطال أناته على فرعون ، فلابد إنه سيطيل أناته عليك .

يطيل أناته لأن طول أناة الله إنما تقتاد إلى التوبة (رو٢ : ٤) . فالله يصبر على الكل ، يعطيهم فرصة ، ولا يضرب أحد بغتة .

يعطى فرصة حتى لأشر الخطاة ، حتى لفرعون وسحرته وعرافيه .

نقطة أخرى نضيفها وهىّ :

إن طول أناة الله فى قصة موسى وفرعون أظهرت عجائب الله وقوته .

لو كان الله قد أهلك فرعون من أول عناد له ، ما كانت قد ظهرت عجائب الله التى رواها لنا سفر الخروج ، تلك العجائب الكثيرة التى شهدتها أرض مصر.

لماذا - والنتيجة

طول أناة الله فى معاملة فرعون أظهر شفقة الله ، وصبره ، وحكمته .

وكان من نتائجها العجائب الكثيرة التى أجراها الله على يدى عبده موسى ، وظهرت فيها قوة الله واضحة .

ولذلك قيل إن أخرجهم من عبودية فرعون «بيد قوية وذراع حصينة . وعجائب الله ومعجزاته كانت واضحة أمام الكل ، لأنها كانت تمس كل الشعب .

وفى نفس الوقت اظهر ضعف آلهة المصريين وضعف سحرتهم ..

النيل مثلاً ، كان يعبده المصريون . وكانوا يعيدون لوفاء النيل كل سنة ، و يسترضونه بعروس يقذفونها إليه ...

فحينما يضرب الله هذا النهر ، و يتحول ماؤه إلى دم ، و ينتن . ويحتاج كل الشعب إلى ماء يشربونه ... (خر٧ : ٢٠ ، ٢١) .

كان هذا بلا شك دليلاً على قوة الله ، ليس أمام فرعون فقط وسحرته ، وإنما أمام كل الشعب .

فرعون نفسه كان معتبراً كإله ، يعبدونه ويسجدون أمامه ...

وإذا بهذا الفرعون يصرخ أمام موسى وهرون ، طالباً صلاتهما عنه ، ليرفع الرب عنه الضربة ، حينما يشعر بثقلها عليه (خر٨ : ٨) ، و يصرخ فى كل عظمته قائلاً «أخطأت هذه المرة . الرب هو البار ، وأنا وشعبى الأشرار» (خر٩ : ٢٧) . «صليا لأجلى .» (خر٨ : ٢٨) .

فرعون نفسه كان خاضعاً للضربات . كانت تصيبه الدمامل ، وتملأ بيته الضفادع ، و يقاسى من الرعود والبرد .

والسحرة أيضاً ظهر ضعفهم . عملوا كل ما قدروا عليه ، ثم

وقفوا عند حد معين . « ولم يستطع العرافون أن يقفوا أمام موسى » (خر٩ : ١١) .

عجز العرافون بسحرهم، وقالوا لفرعون «هذا اصبع الله» (خر٨: ١٩).

هم أنفسهم أصابتهم الضربات ..

ولولا طول أناة الله وصبره، ما كان يظهر ضعف السحرة وعجزهم، وما كانوا يعترفون هكذا أمام سيدهم فرعون، و يعلم بهذا كل الشعب .

كل هذا ، وموسى يتأمل، و يأخذ دروساً من طول أناة الله .

و يرى صبره ، و يرى فى نفس الوقت قوته وحكمته ...

ويمتص موسى هذه الصفات الجميلة و يتعلم و يتدرب فى مدرسة الله .

إن الذى يعاشر الله، لابد أن ينال خبرات روحية تفوق الوصف .

وكان هذا مع موسى النبى... رأى قوة الله ، لأنها تمت على

يديه ، وبعصا الله التى فى يده .

واختبر سرعة الاستجابة ، وسرعة التصرف ، مع طول أناة عجيبة !

وأتقن موسى هذا الدرس وهذا الاختبار ، حتى قيل عنه :

« وكان الرجل موسى حليماً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض » (عد ١٢ : ٣) .

وماذا عن الشعب وخبراته ؟

كانت إرادة الله أن يخرجهم من أرض العبودية . ولكنه لم ينفذ ذلك فجأة ، وإنما بطول أناة أنقذهم وخلصهم ...

وأراهم فى كل ذلك قوته .

كانت الضربة تصيب فرعون وكل شعبه ، ولكنها لا تمسهم هم وشعروا باهتمام الله ، ووثقوا به ، واكتسبوا الإيمان الذى استطاعوا به أن يعبروا البحر الأحمر ، وأن يحتموا قبل ذلك داخل الأبواب المرشوشة بدم خروف الفصح (خر١٢ : ١٣) .

وعلى المدى الواسع من طول أناة الرب ، توالت بركاته أيضاً :

الا موسى كان موسى أكثر من نال بركات من الرب فى عشرته له.

فى بادىء الدعوة أعطاه هرون أخاه لمساعدته، وقال له «تضع الكلمات فى فمه، وأنا أكون مع فمك وفمه، وأعلمكما ماذا تصنعان».. وماذا قال له أيضاً عن هرون أخيه؟ قال:

«هو يكون لك فماً، وأنت تكون له إلهاً» (خر٤: ١٦).

وطبعاً كلمة (إله) هنا لا تعنى جوهر اللاهوت، إنما تعنى السيادة والربوبية، كما تقول «رب أسرة» مثلاً، فلا تعنى خالقها، وإنما رئيسها.

وقد ورد فى المزامير «ألم أقل إنكم آلهة وبنى العلى تدعون. ولكنكم مثل البشر تموتون، وكأحد الرؤساء تسقطون» (مز٨٢: ٧، ٨).

فهؤلاء الذين يموتون ويسقطون، لا يكونون آلهة بالمعنى اللاهوتى للعبارة. إنما هم سادة أو أرباب على مستوى عالٍ.

وهكذا قال الرب لموسى أيضاً:

«أنا جعلتك إلهاً لفرعون. وهرون أخوك يكون نبيك» (خر٧: ١).

موسى هذا ، الذى كرس نفسه لله ، « وأبىٰ أنْ يُدعىٰ إبناً لإبنة فرعون ، مفضلاً بالأحرى أن يذل مع شعب الله » (عب ١١ : ٢٤ ، ٢٥) .. قد دعى الآن « إلهاً لفرعون » بمعنى سيداً له ، يرجوه فرعون و يتوسل إليه كلما ضغطت عليه ضربة من ضربات الله ...

وهرون دعى نبياً له ، بمعنى أن موسى يوحى إليه بالكلام ، فيتكلم . هو يضع الكلمة فى فمه .

هنا نرى الهيبة العظيمة التى صارت لموسى أمام فرعون ...

فعلى الرغم من كبرياء فرعون وغطرسته وتجبره ، يقف أمام موسى ، رجل الله ، متوسلاً طالباً الرحمة !

وهكذا بدت يد الله القوية ، فنزعت الغطاء عن وجه فرعون ، فظهر على حقيقته إنساناً ضعيفاً كباقى الناس .

أما موسى ، ثقيل الفم واللسان ، فتحقق فيه قول الرب :

« من وضع نفسه ارتفع » (مت ٢٣ : ١٢) .

إنه ترك الإمارة والعظمة والقصر ، « حاسباً عار المسيح غنى أعظم من خزائن مصر » (عب ١١ : ١٢٦) . فكافأه الله ...

موسى الأمر ساكن القصر ، خاف من فرعون وهرب (خر٢ : ١٥).

أما موسى راعى الغنم ، لما صار رجل الله ، أمكنه أن يقف أمام فرعون فى قوة ... !

يقدّم لفرعون إنذاراً فى كل مرة !!

هكذا يقول الرب لك «اطلق الشعب وإلا ..» يصيبك كذا وكذا . ولا يجرؤ فرعون أن يقول له : من أنت حتى تهددنى ؟!

إنه رجل الله ، الذى فى يده عصا الله ، وبالإيمان يصنع العجائب ويضرب الضربات أو يرفعها ...

هذا ما فعلته طول أناة الله وغيرت الوضع بين موسى وفرعون .

وأصبح موسى فى مركز القوة ، وفرعون فى مركز الضعف .

لو كان الله قد ضرب فرعون ضربة عنيفة من بادىء الأمر ، لما خالف وتحدى ، وما كانت هذه النتائج والخبرات الروحية قد ظهرت !! ولكنها طول أناة الله ، وكيف تفعل ...

موسى حينما كان أميراً ، كان يخاف . وقد قيل عنه :

«فخاف موسى .. وهرب من وجه فرعون» (خر٢ : ١٤ ، ١٥) . أما الآن فلم يعد يخاف ..

فى الأول ، لم يكن يعتمد على قوة إلهية تسنده ! كان يعتمد على مركزه فى القصر الملكى ، وهذا أمر غير ثابت . ولذلك بعد قتله الرجل المصرى ، وسمع فرعون هذا الأمر ، «طلب أن يقتل موسى» (خر٢ : ١٥) .

أما الآن ، فإنه يعتمد على قوة الله ، فزال منه كل خوف .

إنه يؤمن بهذه القوة ، وقد اختبرها عملياً ، ووثق بها ، فلم يساوره الخوف مطلقاً ، كلما أمره الله بالذهاب لملاقاة فرعون .

ما أجمل قول داود فى المزمور :

« إن سرت فى وداى ظل الموت ، لا أخاف شراً ، لأنك أنت معى» (مز٢٣) .

وقال أيضاً فى صباه :

«تكلمت بشهاداتك قدام الملوك ولم أخزَ» (مز١١٩) .

يذكرنى موقف موسى من فرعون بملاقاة إيليا لأخاب الملك دون أن يخاف منه ، مع خوف عوبديا وباقى الأنبياء .

يذكرنى أيضاً بعدم خوف يوحنا المعمدان من توبيخه لهيرودس الملك .

موسى أخذ خبرة روحية فى الحياة مع الله وعرف حقيقة وهى :

قد تبدو أمور الله فاشلة فى أولها ، ولكنها تنتهى بقوة عجيبة وبنجاح ...

لقد أرسل الله عبده موسى إلى فرعون ليطلق الشعب ، فاشتد عليهم بالأكثر. وبدت الإرسالية فاشلة ، حتى أن موسى عاتب الرب قائلاً :

« يا سيد ، لماذا أسأت إلى هذا الشعب ؟! لماذا ارسلتنى ؟ فإنه منذ دخلت إلى فرعون لأتكلم باسمك ، أساء إلى هذا الشعب ، وأنت لم تخلص شعبك !! » (خر٥ : ٢٢ ، ٢٣) .

ومع ذلك ، فهذه البداية المؤسفة حولتها أناة الله إلى خير.

ليس المهم عند الله البدايات ، بقدر ما تهمه النهاية والنتيجة.

وصدق سليمان الحكيم حينما قال : «نهاية أمر خير من بدايته » (جا ٧ : ٨) .

المسألة إذن تحتاج إلى صبر، إلى طول روح ، إلى طول أناة ، حتى تدرك أمور الله ، وغايتها الطيبة المفرحة .

بداية الطريق الروحي، الباب الضيق (متى ٧: ١٤) ونهايته الحياة والملكوت.

وصدق الأب الروحى الذى قال فى بستان الرهبان إن أمور العالم تبدو حلوة ونهايتها مرارة . أما أمور الملكوت ، أو أمور الله ، فتبدو مُرة فى أولها ، ولكن نهايتها حلوة . الأولى حلوات مُرّات ، والثانية مُرّات حلوات!

أمور العالم تبدأ بلذة ، ولكنها تنتهى بالضياع ...

كما قال الرب «واسع هو الباب ، ورحب الطريق ، الذى يؤدى إلى الهلاك . وكثيرون هم الذين يدخلون منه» (مت ٧ : ١٣) .

وقصة الخروج بدأت فى أولها متعبة، وأتت بنتيجة عكسية ...

بدأت بقول فرعون «متكاسلون أنتم متكاسلون» (خر ٥ : ١٧) ، وزيادته الثقل على الناس . واحتجاج هؤلاء على موسى وهرون لتدخلهم الذى أدى إلى زيادة التعب . «ولم يسمعوا لموسى

من صغر النفس ومن العبودية القاسية (خر٦ : ٩).

وبدا وعد الله بلا تنفيذ!

وكان قلب فرعون يشتد، حتى بعد الضربات والمعجزات، حتى طاردهم إلى البحر الأحمر... واحتج الشعب على موسى قائلين: «هل لأنه ليست قبور فى مصر، أخذتنا لنموت فى البرية؟!» (خر١٤ : ١١).

واشتهوا بعد كل المعجزات والضربات أن يرجعوا إلى خدمة فرعون ويعيشوا، ولو فى العبودية. ولكن موسى لم يفقد إيمانه.

كان قد تعلم من الرب طول الأناة، فقال للشعب:

«لا تخافوا. قفوا وأنظروا خلاص الرب. الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون» (خر١٤ : ١٣، ١٤).

كان المنظر يدعو إلى اليأس. ولم يكن الخلاص واضحاً أمامهم، ولا كيف يكون! كان البحر الأحمر أمامهم، وفرعون ومعه ستمائة مركبة حربية خلفهم.

وكانت أناة الله قد وصلت إلى قمتها! وكان الخلاص قريباً.

الفصل الخامس

شخصية فرعون

قسوة

كان فرعون إنساناً قاسياً ...

وكانت قسوته ضد نفسه ، أكثر مما هى ضد الناس .

كان يظلم الناس و يسخرهم . وإن شكوا إليه وطلبوا رحمته ، يزيدهم ظلماً وتسخيراً . و يقول لهم «متكاسلون أنتم متكاسلون» (خره : ١٧) .

هذا من جهة الناس . ومن جهة علاقته بالرب ، كان قاسى القلب أيضاً .

كان يمثل القلب الذى لا يتوب بسهولة ، مهما حدث من معجزات !

حتى المعجزات ما كانت تخرجه من قسوة القلب . إنه يذكرنا بقول أبينا ابراهيم عن أقرباء الرجل الغنى (ولا إن قام واحد من الموتى يصدقون» !! (لو١٦ : ٣١) . وهو أيضاً يذكرنا ببنى

اسرائيل فى البرية، وتمردهم على الرب وعلى موسى، على الرغم من كل المعجزات التى رأوها بأعينهم... وأيضاً موقفهم عند صلب السيد المسيح، وكيف نسوا له كل معجزاته...

حقاً إن الإنسان القاسى لا تخلصه المعجزة، فلا يخلص إلا بنقاوة القلب.

لأن القلب القاسى يمكن أن يرفض المعجزة، أو يعللها بأسباب أخرى! أو يتأثر بها مؤقتاً، ثم ينساها بعد حين...

وهذا هو ما كان يحدث مع فرعون... كان يقابل معجزات الله أحياناً بما يعمله السحرة والعرافون الذين تحت يده... وأحياناً كان يضطر إلى الاعتراف بالمعجزة أمام عجز سحرته وحكمائه.

وهذا القلب القاسى كان يلين فى بعض الأوقات، أثناء الضربات.

ويقدم وعوداً، ويطلب الصلاة من أجله، وينسحق، ويتنازل عن كبريائه كفرعون... وأمامنا أمثلة كثيرة لذلك:

فبعد ضربة الضفادع، دعا موسى وهرون وقال لهما «صليا إلى الرب، ليرفع الضفادع عنى وعن شعبى، فأطلق الشعب

ليذبحوا للرب» (خر٨: ٨). فماذا حدث بعد أن رفع عنه الضربة وماتت الضفادع؟ يقول الكتاب:

«فلما رأى فرعون أنه قد حصل الفرج، أغلظ قلبه ولم يسمع لهما» (خر٨: ١٥).

هناك إنسان إذا حدث الفرج، يمتلىء قلبه شكراً ولسانه تهليلاً، ويزداد ارتباطاً بالرب وعرفاناً بجميله. أما فرعون فكان على العكس: إذا حدث الفرج، ينسى وعوده للرب، وينسى الرب أيضاً وقوته ومعونته!

لذلك أحياناً نرى الرب يدبر البعض ويسوسهم بالضيقات والمتاعب، لأنها تقودهم إلى التوبة، وتقربهم إليه...

بينما إذا بعدت عنهم التجارب، بعدوا هم أيضاً عن الله. فالتجارب هى صمام الأمن فى علاقتهم مع الله...

أمثال هؤلاء يحيون بالخوف، ولم يصلوا إلى الحب بعد.

إنها قصة حية تكررت مراراً فى سفر القضاة. كان بنو اسرائيل، كلما تنعموا أو عاشوا فى راحة، يبتعدون عن الرب وعن عبادته. وكلما ضاقت بهم الحال، يرجعون إليه... (قض ٢).

نعود إلى فرعون ، فنلاحظ فى ضربات الرب له ، أنه :

كان فرعون يزداد انسحاقاً ، كلما ازدادت الضربات عليه .

و يظهر ذلك فى كلامه ووعوده واعترافاته . فمن عبارة « صليا لأجلى » إلى عبارات أكثر انسحاقاً ومذلة ...

فبعد ضربة البَرَد والمطر والرعود ، نرى عباراته تتطور ، إذ يقول الكتاب « فأرسل فرعون ودعا موسى وهرون وقال لهما :

« أخطأت هذه المرة . الرب هو البار ، وأنا وشعبى الأشرار . صليا إلى الرب وكفى ... » (خر ٩ : ٢٧ ، ٢٨) .

ولعل أحدهم يقول : ها هو الرجل يتطور فى انسحاقه واعترافه . تبقى بعد ذلك ضربة واحدة أو ضربتان ، فيصل إلى الله و يتوب ... ! ولكن يبدو أنها كانت كلمات من الشفتين فقط ، أما قلبه فمبتعد بعيداً . لذلك نرى الكتاب يقول : « ولكن فرعون لما رأى أن المطر والبرد والرعود انقطعت ، عاد يخطىء ، واغلظ قلبه هو وعبيده » (خر ٩ : ٣٤) .

حقاً صدق الحكيم فى قوله :

« إن دققت الأحمق فى هاون ... لا تبرح عنه حماقته »
(أم ٢٧ : ٢٢).

وفى الضربات التالية ، كان يبدو أن انسحاق فرعون يزداد ... فبعد ضربة الجراد يقول الكتاب : « فدعا فرعون موسى وهرون مسرعاً ، وقال « أخطأت إلى الرب إلهكما وإليكما . والآن أصفحا عن خطيئتى هذه المرة فقط . وصليا إلى الرب إلهكما ، ليرفع عنى هذا الموت » (خر ١٠ : ١٦ ، ١٧).

وبعد أن رفع الرب الضربة ، عاد فرعون إلى قسوته كما كان !

والعجيب فى كل ذلك : أن الله العارف بالمستقبل قبل أن يكون ، كان يعرف أن وعود فرعون باطلة ، ومع ذلك كان يستجيب لوعوده !!

إنه كان يعرف أن فرعون غير صادق فى توبته ، وغير جاد فى وعوده وعهوده ، وأنه يعد لمجرد الخوف وليس عن توبة ، وأنه لن ينفذ حرفاً واحداً مما قال . ومع ذلك كان الله يقبل منه التعهد ، ويعطيه فرصة أخرى ، وهو عارف بما فى قلبه ... !!

حقاً ما أطيب الرب ... وما أعمق طيبته ... !!

إنه طيب ، مهما كان فرعون ، الذى تكرر العبارات فى الكتاب عن قسوته وغلاظة قلبه ، ورجوعه فى مواعيده . وهكذا نقرأ كمثال :

فمثلاً فى ضربة البعوض ، بعد أن حاول العرافون بسحرهم أن يخرجوا البعوض فلم يستطيعوا « وقال العرافون لفرعون هذا أصبع الله . ولكن اشتد قلب فرعون فلم يسمع » (خر٨ : ١٨ ، ١٩) .

وبعد ارتفاع ضربة الذبان ، يقول الكتاب كذلك :

« ولكن أغلظ فرعون قلبه هذه المرة أيضاً » (خر٨ : ٣٢) .

وبعد ضربة الوبأ على المواشى ، يقول الكتاب كذلك « ولكن غلظ قلب فرعون ، فلم يطلق الشعب » (خر٩ : ٧) . وبعد ضربة الجراد اشتد قلبه أيضاً ... يبدو أن طبيعته كانت هكذا .

بعض الناس ، الطيبة عندهم هى الأساس ، والقسوة تكون حالة طارئة مؤقتة يندمون عليها ، ويعودون إلى طيبتهم ... أما فرعون ، فقد كانت قساوة القلب عنده هى الأساس . أما انسحاق القلب ، والاعتراف بالخطأ ، وطلب الصلاة ، فكانت حالات

طارئة مؤقتة عنده ، يدعوا إليها الخوف والسعى وراء المنفعة ، وتزول بعد حين . ولم تكن توبة .

أما موسى فكان طيب القلب حقاً .

وما كانت قسوة فرعون ، تجعل قلب موسى يتقسى . بل ظل يشفع فى فرعون ويصلى لأجله ، وهو عارف بتقلبه وقسوته وعدم تنفيذه لعهوده .

فى كل مرة كان فرعون يطلب منه الصلاة لأجله ، كان يصلى لأجله وهو عارف بأن توبته غير صادقة ... عجيب هذا الأمر! إن المثل يقول «لا يلدغ مؤمن من جحر مرتين» . وهوذا أنت يا موسى جربت هذا الجحر مرات عديدة . ومع ذلك فإن الطيبة التى فى قلبك ، كانت أعمق بكثير من الشر فى قلب فرعون...

عجيب أن موسى الذى اضطهد فرعون شعبه ، يتشفع فى فرعون !

ويصلى لأجله مهما رجع فى عهوده... ولكن القلب الطيب لابد هكذا يكون . وقد تعلم موسى من الله الذى قال عنه الرسول «إن كنا غير أمناء ، فهو يبقى أميناً» (٢تى ٢ : ١٣) .

كانوا ثلاثة فى هذه القصة : الله وموسى وفرعون ...

الله طيب ، وموسى طيب ، والشديد فى الثلاثة هو فرعون !

الله سهل فى التفاهم معه . وموسى سهل فى التفاهم معه .

أما فرعون فهو الوحيد فى الثلاثة ، الصعب فى التفاهم !!

من أجل هذا قال داود النبى عبارته المشهورة «أقع فى يد الله ، ولا أقع فى يد إنسان . لأن مراحم الله واسعة» (٢صم ٢٤ : ١٤) .

مساومة

بالاضافة إلى قسوة فرعون ، وعدم وفائه بعهوده ...

كان فرعون أيضاً رجل مساومة !

كانت الضربات شديدة عليه . وكان المطلوب منه واضحاً فدخل فى أدوار من المساومة . ويقول الكتاب إنه كان «يخاتل حتى لا يطلق الشعب ليذبح للرب» (خر٨ : ٢٩) . فما هى

مخاتلته ومساوماته ؟

١ ـ قال : اذهبوا واذبحوا لالهكم فى هذه الأرض (خر٨ : ٢٥) .

وواضح أنه كان يقدم لهم حلاً مستحيل التنفيذ . لأنهم إن ذبحوا العجول أمام المصريين ، وهى من عبادتهم ، فسيرجمهم المصريون . وكان موسى صريحاً فى رده على فرعون قائلاً « لا يصلح أن نفعل هكذا ... أفلا يرجموننا ؟! نذهب سفر ثلاثة أيام سفر فى البرية ، ونذبح للرب إلهنا » .

كيف نعبد الرب فى أرض غريبة (مز ١٣٧) .

فدخل فرعون فى المساومة الثانية وقال :

٢ ـ أنا أطلقكم لتذبحوا للرب إلهكم فى البرية ، ولكن لا تذهبوا بعيداً . صليا لأجلى » (خر٨ : ٢٨) . فلما زالت الضربة بصلاتهما « أغلظ فرعون قلبه فلم يطلق الشعب » (خر٨ : ٣٢) ... واستمرت الضربات ...

٣ ـ وعاد فرعون يساوم مَنْ الذين يذهبون (خر١٠ : ٨) .

إنه يسمح بأن يطلق الرجال فقط ليذبحوا للرب . أما موسى النبى فقال « نذهب بفتياننا وشيوخنا . نذهب ببنينا وبناتنا ، بغنمنا وبقرنا . لأن لنا عيداً للرب » (خر ١٠ : ٩) .

إن موسى لا يتساهل فى حق الله ، ولا فى حق الشعب .

الشعب كله يذهب ليعبد الرب فى البرية . ورفض فرعون . وقال « اذهبوا أنتم الرجال ... » . وأصر موسى وهرون « فطردا من لدن فرعون » (خر ١٠ : ١١) . وهنا نرى معاملة فرعون قد تغيرت . فبعد أن كان يتوسل إلى موسى أن يصلى لأجله هو وهرون ، نجده الآن يطردهما من أمامه .

ولم يكن عناده فى صالحه ، فعادت الضربات .

واضطر فرعون أن يستدعى هذين اللذين طردهما ، ويقول لهما « أخطأت ... اصفحا عن خطيتى . صليا إلى الرب ليرفع عنى هذا الموت » . فصليا عنه ، وارتفعت ضربة الجراد ، وبقى عناد فرعون . فحلت ضربة الظلام ...

وعاد فرعون يساوم فقال :

٤ ـ « اذهبوا لتعبدوا الرب . أولادكم أيضاً تذهب

معكم. غير أن غنمكم وبقركم تبقى» (خر١٠ : ٢٤).

ولكن فرعون المساوم كان يتعامل مع موسى النبى الذى لا يقبل مساومة فى الحق. فقال إنه لابد أن تكون الأغنام والبقر معهم، لأن منها يقدمون ذبائح للرب. وأجاب فرعون بحزم «تذهب مواشينا معنا. لا يبقى منها ظلف. لأننا نأخذ لعبادة الرب إلهنا» (خر١٠ : ٢٦).

وهكذا نجد الرجل الطيب، يتكلم بحزم. إنه تكامل الشخصية.

الإنسان الطيب الذى يتشفع فى فرعون ويصلى لأجله لترفع عنه الضربات، ناسياً أخطاءه السابقة، نراه فى وقت الحزم حازماً. لا يتساهل. نخرج كلنا، الصغير والكبير، الغنم والبقر... لا يبقى ظلف. ما أحزم عبارة «لا يبقى ظلف» يقولها موسى لفرعون الطاغية والجبار، ولا يبالى بأن يطرده فرعون من قدام وجهه، أو يهدده بالقتل.

٥ ـ وهنا وصل غضب فرعون على موسى إلى قمته.

فرفض الطلب، وقال لموسى «اذهب عنى. احترس. لا ترى

وجهى بعد . إنك يوم ترى وجهى تموت » ، وقبل موسى هذا التهديد فى هدوء وأجابه « نعماً قلت . أنا لا أعود أرى وجهك أيضاً » (خر ١٠ : ٢٨ ، ٢٩) .

وكان تهديد فرعون لموسى بالموت ، هو ضد فرعون نفسه .

إن فرعون - برفضه لقاء موسى وإلا يموت ، فقد شفاعة موسى النبى عنه ، وفقد وساطته لدى الله ، وفقد البركة والصلاة... واقترب فرعون من نهايته .

كيف كانت تلك النهاية ، نهاية العناد والقسوة والمساومة ، نهاية الصراع بين موسى وفرعون ؟

الضربات

إنها ضربات عشر ، هى :

١ - تحويل ماء النهر إلى دم . بعصا هرون (خر ٧ : ١٩)

٢ - ضربة الضفادع . بعصا هرون (خر ٨ : ٥) .

٣ - ضربة البعوض . بعصا هرون (خر ٨ : ١٦) .

٤ - ضربة الذبان . (خر ٨ : ٢١ ، ٢٤) .

٥ ـ وبأ المواشى .   (خر ٩ : ٣ ، ٦) .

٦ ـ ضربة الدمامل .   بيد موسى (خر ٩ : ٨) .

٧ ـ ضربة البَرَد .   بعصا موسى (خر ١٠ : ١٣)

٨ ـ ضربة الجراد .   بعصا موسى (خر ١٠ : ١٣)

٩ ـ ضربة الظلام .   بيد موسى (خر ١٠ : ٢٢) .

١٠ ـ وأخيراً ، ضربة الأبكار .   (خر ١١ : ٤ ، ٥)

نلاحظ فى الضربات أن ثلاثاً منها تمت بعصا هرون ، وأربعاً بعصا أو يد موسى . والباقى كانت من الله نفسه بدون موسى ولا هرون ...

نلاحظ أيضاً أنه فى رفع الضربات ، كان ذلك يحدث بصلاة موسى وحده .

حتى فى الوقت الذى كان فيه فرعون يطلب من موسى وهرون إنه يصليا لأجله (خر٨ : ٢٨) ، يقول الكتاب « فقال موسى ها أن أخرج من لدنك وأصلى إلى الرب ... » « فخرج موسى من لدن فرعون ، وصلّى إلى الرب . ففعل الرب كقول موسى ، وارتفع الذبان عن فرعون وعن عبيده » (خر٨ : ٢٩ ـ ٣١) .

وعندما قال فرعون لموسى وهرون « صليا إلى الرب ، وكفى حدوث رعود الله والبرد . » « قال له موسى : عند خروجى من

المدينة ، ابسط يدىّ إلى الربو فتنقطع الرعود ولا يكون البرد أيضاً ، لكى تعرف أن للرب الأرض» (خر٩ : ٢٨- ٣٠) .

كان موسى هو الأمين فى كل بيت الرب .

هو يقف أمام الله ، وهرون خادم له .

بل قال له الله «أنت تكون له إلهاً» (خر٤ : ١٦) .

فى وجود موسى ، الشفاعة له أمام الله ، وليس لهرون .

كان موسى النبى يشفع فى فرعون ، والله يسمح له و يستجيب .

وكان فرعون يرفض كل وسائط النعمة المقدمة إليه . ومما يظهر لطف الله معه أثناء الضربات .

إن الله كان ينذره قبل كل ضربة ...

فيقول له : إن لم تطع ، سيحدث كذا فى الوقت الفلانى ...

فلا يهتم فرعون ، وتصيبه الضربات .

وكانت انذارات الله تدل على حنوه .

ولكن فرعون لم يبالِ بالانذارات ، ولا بالمعجزات ، ولا بالضربات ورفعها .

ولم يقبل وساطة الأشخاص الروحيين أمثال موسى وهرون .

وعاند، وارتفع قلبه . وصمم على إهلاك الشعب . واستمرت الضربات .

وكانت آخر ضربة هى ضربة الأبكار.

ومنح الرب شعبه بركة الفصح . ولما رأى الملاك المهلك الدم على أبوابهم ، عبر عنهم .

ودعا فرعون موسى وهرون ليلاً . وقال لهم «اخرجوا من بين شعبى : أنتما وبنو اسرائيل جميعاً . واذهبوا واعبدوا الرب كما تكلمتم . خذوا غنمكم أيضاً وبقركم كما تكلمتم واذهبوا» .

«وباركونى أيضاً» (خر١٢ : ٣١، ٣٢) .

كان استسلاماً كاملاً من فرعون .

ولكن ... ولكنه غُلب من طبعه !

ولما رأى أنهم خرجوا، أخذ معه ستمائة مركبة حربية وخرج وراءهم !

وفى كل ذلك نسى قوة الرب وضرباته ، ونسى وعوده لموسى وهرون ... عجيب هذا القلب الذى يرفض أن يلين وأن يستجيب .

أصعب شيء أن الإنسان لا يريد أن يتوب. وسائط النعمة تلاحقه، وهو يرفض!!

يقرع الرب على بابه ، فيرفض أن يجيب و يرفض أن يفتح .

وقد قرع الرب على باب قلب فرعون عشر مرات، خلال العشر ضربات ، بل وقيل فى ذلك أيضاً ، وأراه عجائبه. ولكن لا استجابة ...

حتى يهوذا قرع الرب مراراً على قلبه ، فلم يستجب !

ضربة الأبكار كانت أصعب الضربات.

وقعت على الكل «من بكر فرعون الجالس على عرشه ، إلى بكر الأسير الذى فى السجن ، وبكر كل بهيمة» (خر١٢: ٢٩)... «وبكر الجارية التى خلف الرحى» (خر١١: ٥). وحدثت المعجزة فى نصف الليل. «وكان صراخ عظيم. لأنه لم يكن هناك بيت ليس فيه ميت» ...

وحفظ الرب أبكار شعبه، فلم يصبهم أذى ، وقال بعد ذلك :

« قدّس لى كل بكر، كل فاتح رحم. إنه لى» (خر١٣: ٢).

نعم ، قدّس هؤلاء المفديين بدم الفصح ، ليصيروا هم الاكليروس ، هم نصيب الرب ... لقد افتديتهم ليصيروا لى .

وظلوا هكذا إلى أن استبدلهم الرب باللاويين ، فى الكهنوت الهرونى ...

قبل أن يعبر هؤلاء من أرض العبودية ، كان لابد من الدم والفطير.

الدم يرمز إلى الفداء بخروف الفصح ، والفطير رمز للحياة الروحية الخالية من الإثم ، من خمير الشر والخبث .

وفى ذلك قال القديس بولس الرسول :

« .. لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذبح لأجلنا إذن لنعيد ليس بخميرة عتيقة ، ولا بخميرة الشر والخبث ، بل بفطير الاخلاص والحق » (١كو٥ : ٧ ، ٨) .

الدم هو عمل الله لأجلنا ، والفطير هو استجابتنا لعمل الله .

ليس سفك دم المسيح لأجل خلاصك ، معناه أن تحتفظ بالخمير فى بيتك !!

وتقول : أنا فى حمى الأبواب المرشوشة بالدم ! أنا قد خلصت

بالدم الثمين !!

هنا واستمع إلى قول الرب بعد وصية خروف الفصح والدم المرشوش .

« سبعة أيام تأكلون فطيراً . من اليوم الأول تعزلون الخمير من بيوتكم. فإن كل من أكل مختمراً... تقطع تلك النفس من اسرائيل » (خر١٢ : ١٥) .

« سبعة أيام لا يوجد خمير فى بيوتكم . فإن كل من أكل مختمراً ، تقطع تلك النفس » (خر١٩) .

والسبعة أيام ترمز إلى الحياة كلها . والانقطاع عن أكل المختمر، يعنى الانقطاع عن الشر. وهذا البر لابد أن يصاحب حياة المفدين بالدم...

وإلا تقطع تلك النفس .

وكل هذا كان لابد أن يتم قبل عبور البحر الأحمر، وقبل الوصول إلى كنعان...

كان لابد أن الذين يعبرون ، يكونون بعيدين سبعة أيام عن الخمير، ورقم سبعة يرمز إلى الكمال... أى يكونون بعيدين

بالكمال عن الشر.

كان الانفلات من عبودية الخطية، لابد أن يسبق الانفلات من عبودية فرعون.

وعلى الرغم من الدم والفصح والفطير، طاردهم فرعون بكل قوة مركباته... إنه لا يريد أن يهرب منه أولئك الذين يخدمون ملكه، وينفذون مشيئته.

إن الشيطان حريص على الاحتفاظ بخدامه. لا يتركهم يفلتون، ولا يبالى بأن الرب معهم!!

لذلك كانت مطاردة فرعون لهم، هى محاولة ضد نفسه، وليست ضدهم. بها هلك، وهم نجوا...

ليته ما خرج وراءهم...

ولكنه كان واثقاً بقوته وبضعفهم. ولم يضع الله فى حسابه...!

وهكذا حصرهم بين مركباته والبحر، حتى ظنوا أنه لا خلاص...

وظن فرعون أن ضربته ستكون القاضية، وسينتصر على أولئك العزل.

لذلك إن خرجت من عبودية العالم الحاضر، هيىء نفسك للتجارب ...

اعرف أن الشيطان سيلاحقك ، ولو إلى اللحظة الأخيرة ...

لا تتذمر كما تذمر بنو اسرائيل على موسى وعلى التدبير الإلهى ؛ مشتهين أن يعودوا إلى عبودية فرعون (خر ١٤ : ١١ ، ١٢) .

بل قف ، وانتظر خلاص الرب .

واستمع إلى موسى النبى وهو يقول :

« الرب يقاتل عنكم وأنت تصمتون » (خر ١٤ : ١٤) .

إن فرعون قوى . ولكن الله أقوى ... الله قادر أن يشق لك فى البحر طريقاً . المهم أن تؤمن ولا تخاف .

إن عصا موسى أقوى من كل مركبات فرعون، لأنها عصا الله .

الخروج من أرض العبودية ، كان لازماً ، وكان جزءاً من الخطة الإلهية ...

ولكن كيف ؟ وإلى أين ؟

الخـروج

الخروج بالنسبة لبنى اسرائيل كان بداية حياة جديدة مع الله .

لذلك اعتبر معمودية لهم .

وفى ذلك قال القديس بولس الرسول « فإنى لست أريد أيها الأخوة أن تجهلوا أن آباءنا جميعاً كانوا تحت السحابة ، وجميعهم اجتازوا فى البحر. وجميعهم اعتمدوا لموسى فى السحابة وفى البحر» (١كو١٠:١ ، ٢) .

والخروج بالنسبة إلى بنى اسرائيل كان قصة إيمان ...

لم يكن فقط إيماناً فى عبور البحر ذاته . وإنما أيضاً كانوا إيماناً بقيادة الرب لهم. لانهم خرجوا وهم لا يعلمون إلى أين سيذهبون ... لم يكن أمامهم مكان معين سيتجهون إليه ، ولم تكن أمامهم صورة واضحة لمصيرهم بعد الخروج ...

كل ما كانوا يعرفونه : أنهم خرجوا ليذبحوا للرب ،

ليعبدوا الرب .

خرجوا وراء الله فى البرية .

كما خرج أبونا ابراهيم من قبل وراء الرب « وهو لا يعلم إلى أين يذهب » (عب ١١ : ٨) . وكما خرج موسى من قصر فرعون ، وهو كذلك لا يعلم إلى أين يذهب . ولكننا فى حياة الإيمان نضع أمامنا قاعدة روحية هامة وهى :

ليس المهم إلى أين نذهب .

إنما المهم مع من نذهب .

ومادمنا سنذهب مع الله ، إذن لا يهم إلى أين ؟ ...

إننا مع الله لا نسأل ، وإنما نتقبل كل شىء فى إيمان .

يكفى أننا معه ، ولو سرنا فى وادى ظل الموت (مز ٢٣) . ولو كنا كالثلاثة فتية فى أتون النار... يكفى أننا معه وهو معنا ، ولو فى النار (دا ٣ : ٢٥) .

مع الله يكفى أن تمشى خطوة واحدة . ولا تسأل عن باقى الخطوات .

وهكذا كان مع بنى اسرائيل . الخطوة الواحدة هى الخروج من أرض العبودية . هى عبور البحر الأحمر.

وماذا عن باقى الخطوات ؟

هذه مهمة السحابة فى النهار ...

وعمود النار بالليل ...

وحتى عبور البحر الأحمر، يكفى فيه الذهاب إلى الشاطىء . والله عليه الباقى .

حقاً من كان يتخيل الخطوة التالية بعد الوصول إلى شاطىء البحر الأحمر؟!

إنها كانت قدس أقداس فى تدبير الله المملوء حكمة وقوة .

أما أنا فيكفينى يارب أن تحركنى من أرض جاسان، من أرض العبودية .

أنت يارب حددت وقت الخروج ، وحددت كيفيته . ليس عسيراً عليك إذن أن تحدد بقيته ...

ولتكن مشيئتك . إنها صالحة .

الفصل السادس

الخروج

خرج بنو اسرائيل من أرض جاسان إلى الحرية ...
ولكن ... خرج وراءهم فرعون ومركباته ...

ضرورة الخروج

يبدو أن الخروج من العبودية لا يكون دائماً سهلاً.
ولكنه دائماً يكون ضرورياً ...

كثير من الناس يدعوهم الرب إلى الخروج قائلاً «اخرجوا منها يا شعبى، لئلا تشتركوا فى خطاياها، ولئلا تأخذوا من ضرباتها» (رؤ ١٨ : ٤).

عندما دعا الله أبانا **ابراهيم**، أخرجه من أرضه ومن عشيرته، ليعبدوه فى الجبل. قال له «اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك، إلى الأرض التى أريك، فاجعلك أمة عظيمة وأباركك ...» (تك ١٢ : ١، ٢).

وانقذ الله **لوطاً** البار بإخراجه من سادوم. ولما تباطأ، أخرجه الملاكان ووضعاه خارج المدينة. وقال له الرب «اهرب لحياتك... لا تقف فى كل الدائرة. اهرب إلى الجبل لئلا تهلك...» (تك ١٩: ١٦، ١٧).

كذلك كان خروج **يوسف** من بيت فوطيفار أمراً لازماً لخلاص نفسه، حتى لو كان خروجاً إلى السجن...

والقديس الأنبا أنطونيوس، لما نظر إلى أبيه ميتاً، وشعر بفناء العالم وتفاهة هذه الدنيا، قال «اخرج منها بإرادتى، قبل أن يخرجوننى كارهاً».

الخروج من دائرة الخطية، أو من دائرة العثرة، يكون بداية طيبة للعلاقة مع الله.

لأنه طالما الإنسان فى تلك الدائرة، لا يمكنه أن يحيا مع الله... وهكذا كان لابد لبنى اسرائيل أن يخرجوا من أرض مصر، حتى يمكنهم أن يعبدوا الله فى البرية. ومن قبل ذلك كان لابد لموسى أن يخرج من قصر فرعون، ليمكنه أن يخلص نفسه ويخلص الآخرين أيضاً.

محاربة الشيطان

نلاحظ أن الإنسان إذا فكر فى الخروج ،
لا يتركه الشيطان ليفلت من يده بسهولة .

ففرعون خرج وراء بنى إسرائيل بفرسانه وخيوله وستمائة مركبة حربية ، وسار وراءهم حتى إلى البحر الأحمر (خر١٤ : ٥-٩). ولما انشق البحر بمعجزة ، لم يبالِ بالمعجزة ، وإنما تقدم وراءهم فى داخل البحر أيضاً (خر١٤ : ٢٣) .

فلا تضطرب إن رأيت مركبات فرعون ساعية وراءك .

لا تنظر إلى فرعون ومركباته ، بل أنظر إلى موسى وعصاه ، وتذكر أعاجيب الرب ومعجزاته التى حطم بها من قبل كبرياء فرعون ، كما حطّم بها من قبل كل سحرة فرعون وعرفائه .

إن الله دائماً هو الأقوى ، مهما صبر ...

فرعون قال فى قلبه : كيف أتركهم يخرجون ، كل هؤلاء العبيد الذين يخدموننى ، واسخرهم فى طاعتى ؟! ... كذلك الشيطان- إن

فكر أناس فى التوبة- يقول كيف أترك عبيدى هؤلاء الطائعين لى ، يخرجون عن طاعتى و يتوبون ؟! .

وغالباً ما يدفعهم إلى اليأس ، و يشعرهم أن الخروج مستحيل .

إن حرب اليأس هى من حروب الشيطان فى كل خروج ...

إنه يصعب الأمر أمامك . و يقول لك : لا تحلم بالخروج ، فلن يكون لك خروج من عبوديتى ، وسأسخرك لتنفيذ مشيئتى باستمرار... وقد جرّب داود النبى هذه الحرب ، فقال : « كثيرون يقولون لنفسى ليس له خلاص بإلهه » (مز٣) .

الشيطان يدفعك إلى اليأس ، حتى تعود إلى العبودية .

وحتى ترى أنها الحل الأسهل والأسلم فى كل مخاطر الخروج !!

وهكذا فعل بنو اسرائيل حينما وصلوا إلى البحر الأحمر ، ورأوا مركبات فرعون وراءهم ! دفعهم اليأس أن يقولوا لموسى النبى « هل لأنه ليست قبور فى مصر ، أخذتنا لنموت فى البرية؟! ماذا صنعت بنا ، حتى أخرجتنا من مصر؟.. كُفّ عنا فنخدم

المصريين. لأنه خير لنا أن نخدم المصريين، من أن نموت فى البرية!!» (خر١٤: ١١، ١٢).

لا تكن كبنى اسرائيل الخائفين، المترددين فى خروجهم.

هؤلاء الذين لولا تشجيع موسى لهم، ما كانوا قد خرجوا!! ولولا معجزات الله التى صاحبتهم، ما كانوا قد خرجوا!... ولا تتوان فى الخروج مثلما فعل لوط، ولا تنظر إلى الخلف كما فعلت إمرأة لوط. ولا تستصعب الأمر ولا يضعف قلبك، ولا تخف من قوة العدو. إنما استمع إلى صوت موسى نبى الله وهو يقول:

لا تخافوا ... الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون (.خر١٤: ١٣، ١٤).

مركبات فرعون الستمائة، وكل فرسانه وخيوله، لا تساوى مطلقاً عصا موسى فى قوتها. إن سعى فرعون وراءك، قل كما قال اليشع النبى: إن الذين معنا، أكثر من الذين علينا (.٢مل٦: ١٦).

فرعون والخروج

ما أكثر وعوده، وما أكثر نكثه بالوعود!!

يعد فى حالة يأس أو خوف ، ثم يرجع فى وعده ، و ينكث عهوده ، حتى مع الله ! كان الله يضربه الضربة ، لعله يتوب... وكان يظهر فى ملابس التوبة ، و يقول أخطأت إلى الرب... وما أن ترتفع الضربة عنه ، حتى يعود إلى قسوته .

فرعون يمثل التوبة الشكلية الخارجية الزائفة !

ولم تكن له توبة حقيقية مطلقاً . كانت كلمات التوبة تخرج من شفتيه ، لا من قلبه . إذ كان قلبه عنيداً متشبثاً بقسوته وكبريائه ...

كان يقول « أخطأت إلى الرب » خوفاً ورعباً ، وليس هيبة لله واحتراماً ...

فرعون يمثل الإنسان الذى يعتبر التوبة خسارة .

لأنه إن تاب ، وحقق وعوده فى أن يخرج موسى وشعبه من مصر ، سيخسر هذا العدد الهائل من العبيد الذين يسخرهم فى أعماله . كانت تتملكه شهوة السلطة والمنفعة والتملك ، وهى التى تسيّره أكثر من قوة الكلمة والوعد... كان يعتبر طاعته لله هزيمة لكبريائه ... !

أنذره الله مراراً ، ولم يستفد من انذارات الله !

ولم يستفد من العقوبات أيضاً . لا من الضربات استفاد ، ولا من رفع الضربات... كانت قوة الله واضحة أمامه ، لمسها وخافها ... ومع ذلك فعناده كان ينسيه كل ذلك .

لقد وعد بخروج الشعب (خر١٢ : ٣١- ٣٣) . ولما خرجوا عاد إلى عناده !!

وسار وراءهم بمركباته وفرسانه . وأدركهم وهم نازلون عند البحر. وحدثت المعجزة الكبرى ، ورفع موسى عصاه ، ومد يده على البحر وشقَّه ، ودخل بنو إسرائيل فى وسط البحر (خر١٤ : ١٦) ... فهل أذهلت المعجزة فرعون وأخافته ، وشعر بقوة الله ، وعاد إلى صوابه ؟! كلا .

العجيب أن فرعون ، لما رأى البحر قد انشق ، دخل فيه هو أيضاً !!

ظن المسكين أن الماء سيحميه هو أيضاً كسور من الجانبين !! كلا ، فإيمان موسى وعلاقته بالله ، غير علاقة فرعون بالله فى عدم إيمانه ... يمكن لإنسان مؤمن أن يسقط من على الجبل ، فتحمله

الملائكة على أيديها . بينما إنسان آخر لا إيمان له يسقط من نفس الجبل فتتكسر عظامه ويموت ...

لقد دخل فرعون ومركباته إلى البحر، ومعهم الكبرياء والحقد والغرور.

ولم يدخلوا بقلب منسحق معتمد على حفظ الله . فكانت نهايتهم ... دخلوا فى صراع ضد الله والمؤمنين به ، فأنطبقت عليهم المياه وهلكوا .

إن فرعون كان شخصاً ، وكان أيضاً رمزاً .

كان رمزاً لنوعية من الشخصية ... وكانت العبودية لفرعون رمزاً للعبودية من الخطية . والخروج من عبودية فرعون ، كان رمزاً للتوبة .

رحمة لشعب خاطئ

كانت معجزة الخروج عمل رحمة قام به الرب نحو شعب خاطىء ، نحو شعب وقع تحت نير العبودية بسبب خطاياه .

ومع ذلك فالرب لا يرضى بالظلم ، ولو ضد الخطاة .

فعل ذلك من أجل رحمته ، لا من أجل استحقاقهم .

وفعل ذلك أيضاً لمعاقبة فرعون ، لأنه تحدى الله نفسه ، ولم يتعظ و يتوب بعد أن رأى عجائب الله... كذلك لم يتعظ كل المحيطين بفرعون ، وكذلك جنده وفرسانه . معجزات الله شملت الجميع ، وضرباته وأنذاراته شملت الجميع ، ولم يتعظوا !!

وأصبحت معجزة الخروج تشمل انقاذاً لموسى وكل شعبه ، وعقاباً لفرعون وكل جنوده وفرسانه .

والواقع إنه وإن كانت معجزات الرب وعجائبه ، لم تؤثر فى فرعون ورجاله ، ولم تقدهم إلى التوبة ... فإن نفس المعجزات والعجائب يبدو أنها لم تؤثر فى بنى إسرائيل أيضاً ، ولم تغرس فيهم الثقة بالرب والاطمئنان إلى الحياة معه ...

فما أن وصلوا إلى البحر الأحمر ، ووجدوا العدو خلفهم ، حتى خافوا واضطربوا ، وظنوا أنهم ملاقون الموت لا محالة . وقالوا لموسى النبى « هل لأنه ليست قبور فى مصر ، أخذتنا لنموت فى البرية ؟! ماذا صنعت بنا ، حتى أخرجتنا من مصر » (خر١٤ : ١١) .

هؤلاء الخائفون كان أمامهم البحر ، وليس أمامهم الله ومعجزاته !!

ساعة الخوف ، أنستهم قوة الله وعجائبه، وكل إحساناته السابقة، وقادتهم إلى الشك، وإلى التذمر أيضاً... والحنين إلى حياة العبودية (خر١٤ : ١٢)!!

إن الله الذى أنقذهم من كل الضربات التى أصابت فرعون، والذى أنقذ أبكارهم من السيف المهلك، والذى أخرجهم من جاسان وأوصلهم إلى البحر الأحمر، أليس هو قادر أن يعبر بهم البحر أيضاً ؟! ولكن الإيمان كان ينقصهم... والمؤمن الوحيد بينهم كان هو موسى النبى !

إنهم خلصوا ، ليس بإيمانهم ، وإنما بإيمان موسى ...

لو أنهم تركوا لأنفسهم لضاعوا . ولكن كان يسندهم إيمان موسى ، وبساطة موسى ، وقوة موسى . كان هذا الإنسان الواحد ، موسى ، أكثر فى قيمته عند الله من مئات الآلاف من الشعب المحيط به !

حقاً إن الناس لا تُعدّ ، إنما توزن .

وأنت إن تعبت واضطربت ، لا تخف من جبروت فرعون ، إنما استظل بحمى موسى... وعش بإيمان موسى . التصق بهذا المنتشل من الماء ، لئلا تغرق فى الماء . قل لنفسك : إن كانت قوة

فرعون ترعبنى ، فإن إيمان موسى يريحنى و يعزينى و يشجعنى ...

وأمام البحر الأحمر، وقف موسى وشعبه الأعزل ، أمام فرعون وكل جنوده وفرسانه ومركباته . ووقفنا جميعاً أمام خبرة روحية وهى :

إن الحق الأعزل أقوى من الباطل المسلّح .

ذلك لأن هذا الحق الأعزل تسنده قوة الله التى لا تُحد . والله دائماً مع الضعفاء المساكين ، ضد جبروت الأقوياء وتسلطهم . وما أجمل كلام الرب فى المزمور: «من أجل شقاء المساكين وتنهد البائسين ، الآن أقوم -يقول الرب- اصنع الخلاص علانية» (مز ١١) . وهكذا قال موسى للشعب «لا تخافوا . قفوا وانظروا خلاص الرب... الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون» (خر ١٤ : ١٣ ، ١٤) .

موسى أدخل اسم الرب إلى ميدان المعركة ،
ليقف مع الشعب الخائف ضد فرعون ...

تماماً مثلما فعل داود لما رأى الجيش خائفاً من جليات ، فقال له «أنت تأتى إلىّ بسيف ورمح . وأنا آتى إليك باسم رب الجنود.. اليوم يحبسك الرب فى يدى ...» (١صم ١٧ : ٤٥ ، ٤٦) . حقاً إن

«إسم الرب برج حصين، يلجأ إليه الصديق و يتمنع» (أم١٨ : ١٠).

وقد كان الله هو قائد العملية كلها منذ البدء.

إنها رواية، الله مؤلفها ومخرجها و بطلها. وهو المنقذ فى مأزق لا مخرج منه... الله الذى كانت فى يده مفاتيح البحر. يعرف متى يفتح البحر، ومتى يغلقه، فى تنفيذ مشيئته. وقد فتح البحر لينقذ الذين دخلوه بارشاد إلهى، وأغلقه على الذين دخلوه بعناد بشرى، وبكبرياء السلاح والمركبات. فكان البحر طريق خلاص للمؤمنين به، مقبرة لمعانديه..

وتم العبور، وتم الخروج، من أرض العبودية ومن البحر.

أهميّة الخروج

بلغ من أهمية الخروج، إن السفر كله سمى باسم الخروج مع أنه يحوى أخبار عديدة... ولكن بعضها كان تمهيداً للخروج، و بعضها نتيجة له...

وأثبت لنا هذا السفر، أن إرادة الله لابد أن تنفذ.

مهما كانت العوائق، ومهما بدا أنها تأخرت...

بل كلما تعقدت الأمور، تبدو قوة الله فى أوجها...

وقد كان الخروج هو الخطوة الأولى فى مسيرة طويلة ، قادها موسى النبى ، وأكملها تلميذه يشوع بن نون ، ثم عدد كبير من الأنبياء ...

كان الخروج نهاية حياة ، وبداية حياة .

كان نهاية حياة تحت حكم فرعون بكل قسوته ...

وكان بداية حياة قيادة الله ونبيه موسى بكل عجائب الله .

وكان خروجاً يعقبه دخول ... خروجاً من أرض العبودية ، يعقبه دخول إلى أرض كنعان .

* * *

وفى قصة الخروج ، أنقذ الله موسى ، من ثلاثة فراعنة :

أ ـ فرعون الذى أراد قتله وهو طفل (خر١ : ١٥ ، ١٦) .

ب ـ فرعون الذى أراد قتله لما قتل المصرى (خر٢ : ١٥) .

ج ـ فرعون البحر الأحمر (خر ١٥ : ١٩) .

* * *

فماذا حدث بعد الخروج ؟

لعل هذا الموضوع يحتاج إلى بحث خاص ...



فهـرست

صفحة



في هذا الكتاب

باسم الآب والابن والروح القدس
الإله الواحد آمين



هذا الكتاب جزء من تأملاتنا فى شخصيات الكتاب المقدس .

حدثناك من قبل عن أبوينا آدم وحواء ، وعن قايين وهابيل . ونشرنا كتاباً عن يونان النبى .

واليوم نحدثك عن قديس عظيم هو موسى النبى :

مولده ، ونشأته ، وغيرته ، وبدايته الخاطئة . ثم دعوته وإعداد الرب له ، وقصة كفاحه مع فرعون ، حتى الخروج .

أما كفاحه مع بنى اسرائيل فله كتاب آخر بمشيئة الرب .

البابا شنوده الثالث

